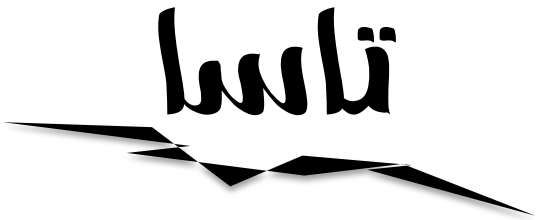
تاسا

الكتاب: تاسا

المؤلف: عبدالمسيح عبدالله

الغلاف: حسن العربي

تنسيق داخلي: عبدالعليم منا

تدقيق لغوي: خلود محمد

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

رقم الإيداع: ٤٨٢٥٢/٢٠٢١

الترقيم الدولي: ٤-٥٠٦-٤٦٩١-٢٤٨١-٩٧٨١

المدير العام: مروة المصري

التليفون: 01100528522

لمراسلة الدار: darnebogh@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر والتوزيع

تاسا

رواية

عبدالمسيح عبدالله

دار نبـــوغ للنشر والتوزيع

الإهداء...

- إلى المرأة التي وقفت بجواري في أشد الاوقات بؤسًا وحزنًا...
- إلى المرأة التي كانت تنتظر نجاحي ودعمتني منذ الصغر بكل قوة...
- كنت أتمني أن تكوني معي حتى تري نجاحي ولكنكِ الأن في مكان أفضل وواثق أنك تريننى من هناك ، سأبذل كل جهدي يا أمي لكى تفتخرى بأبنك إلى أن نلتقى.
- إلى الأستاذة مروة المصري التي دعمتني بقوة حتى ظهرت هذه الرواية للوجود.
- إلى الأستاذ الكبير الكاتب: أحمد عبدالرحيم الذى وقف بجواري حتى ظهر هذا العمل.
- اقدم لكم جميعاً كل الشكر.
- وأيضا اشكر كل من شكك بقدراتي فكان سبب لزيادة حماسي، ومنكم من ساندني في وقت سقوطى فلكم جزيل الشكر.

****

المقدمة....

منذ قرون لا حصر لها. منذ عهود سحيقة. اشتد الصراع بين الخير والشر. امتد الصراع حتى وصل إلى أعظم الآلهة قوة فى عالم البشر.

إله النيل سوبيك؛ وإله الشر ست. أراد ست أن يحكم العالم بشره، ولكنه اصطدم بسوبيك إله النيل الذي أراد أن يحكم الأرض بالعدل.

بينما قرر أنوبيس إله الجحيم حليف سوبيك؛ وكربيروس حارس بوابة عالم الموتى حليف ست عدم الانحياز لإحدهم حتى لا ينغمسوا في الحرب الدائرة بين أعظم الآلهة.

ولكن ما قام به كربيروس كان شيئًا مفزعًا خطيرًا، حيث قام حارس بوابة عالم الموتى بخداع أنوبيس واتحد مع إله الشر ست، ومع شيطان الجحيم وملك العالم السفلي مرن، وقاموا بسجن أنوبيس في أعماق العالم السفلي، وبذلك خسر سوبيك أقوى حلفائه على الإطلاق . وحينها، اشتد القتال أكثر وأكثر عليه حتى هزم في المعركة، وفر إلى أقصى الجنوب لكي يحتمي بمياه النيل العظيم.

وبعدما، انتهت الحرب جاء موعد نوم ست أقوى آلهة الشر، فقبل نومه العميق أقام مكانه أشرس شيطان في مملكة العالم السفلي مرن، لحين إيقاظه مرة أخرى.

****

(١)

وفي مساء إحدى ليالي الربيع الدافئة وبالتحديد في مدينة دهشور عاصمة مصر القديمة، يجلس على العرش أقوى فرعون على مر التاريخ المصري هو سنفرو.

وفي يوم ما، كان يحتفل مع جنوده بالانتصار العظيم الذي حققه على قراصنة البحار الشمالية التي دائمًا ما كانوا سبب انزعاج كبير لمملكته وأرضه. حيث تسببوا بخسائر كبيرة له، بهجومهم على السفن التجارية الذاهبة والقادمة من ممالك الشمال، والعسكرية الرابضة في قلب البحر لحماية المملكة من أي عدوان خارجي.

فيقطع عليهم هذا الاحتفال العظيم جندي مفزوع ممزق الملابس، مشوه الوجه، يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة ويصرخ: سيدي، إنقذنا، الغابات تُحترق بإكملها بمن فيها من الأقزام.

قفز سنفرو من فوق عرشه وأسرع هو وجنوده إلى أعلى القصر الملكي ليشاهدوا ماذا يحدث، فقد رأوا ما لا يستطيع أحد رؤيته من حيث الدمار والبشاعة التي لحقت بالغابات.

فكانت الحرائق تلتهم كل شيء أمامها الأخضر واليابس. فأحرقت معظم الأقزام الذين يعيشون في داخلها، ولم تترك إلا القليل منهم الذين فروا من النيران. ولم يستطع أحد إنقاذهم ولا السيطرة عليها. وعلى غرار ما حدث اجتمع فرعون مصر بقادة الجيش.

يجلس سنفرو فوق العرش وعيونه لامعة من الحزن، وملامحه الهادئة يبدو عليها الغضب ويصيح بصوت عالٍ: كيف اشتعلت الغابات دون أن يتدخل أحد لإخمادها؟

فوقف قائد الجيش ثم انحنى بإجلال عظيم أمامه وقال: اسمح لي يا جلالة الملك بالحديث.

فأشار سنفرو إليه بالصولجان الذي في يده بأن يتحدث بما يريد أن يقوله، ثم قام قائد الجيش رفع رأسه وقال: يا سيد، اعتقدت في بداية الحرائق أن هناك الكثير من جيوش الأعداء يحرقون الغابات من الخلف لكي يحاصرونا، ولذلك قد أرسلت بعض الجنود لكي يكتشفوا ما يحدث خلفها، ولكنهم رجعوا سريعًا وأخبروني: لم يجدوا أحدًا هناك. لذلك يا جلالة الملك ليس هناك أحد يستطيع فعل ذلك غير الشيطانة واجة. لأنها الوحيدة التي تريد الانتقام من الأقزام لاتحادهم معنا.

فازداد غضب سنفرو ثم نهض من فوق العرش وصرخ: احضروا كل ساحر وعراف ومشعوذ في مصر الآن.

فخرج المنادون إلى كل أرض مصر لكي يعلنوا بما أمرهم به سنفرو فحضر الجميع في اليوم التالي إلى القصر.

فأزف قدوم سنفرو إلى قاعة العرش، فوقف الجميع بانحناء عظيم. وظهر الملك أمامهم وكانت عيونه لامعة وكادت تتساقط الدموع منها، وكان بداخلها نار تكفي أحراق العالم بأثره. ثم جلس على العرش وركع الجميع أمامه وأشار لهم بالجلوس وقال لهم: هل عرفتم لما أنتم هنا؟

فنهضوا جميعهم وجلسوا في أماكنهم، ثم وقف رئيس المشعوذين أمامه وقال: قد أخبرنا المنادون بأن جلالتك قد أرسلت لنا في أمر مهم لذلك أسرعنا إلى هنا لتلبية نداء جلالتك ولا نعلم ما الأمر؟

ثم وقف سنفرو وصرخ في وجوههم: كل غابات مصر تلتهمها النيران وأنتم لا تعلمون لماذا أحضرتكم إلى هنا؟

فأجابه رئيس المشعوذين: يا سيدي، نعلم بما حدث للغابات، ونحن في قمة الحزن والأسى، ولكن لا أحد منا يعلم سبب وجودنا هنا؟

ثم تظاهر سنفرو بالهدوء قليلًا وجلس على العرش، ولكنه لم يستطع كتمان غضبه أكثر من ذلك ونظر إليهم بصرامة وقال: إحضروا واجة إلى هنا اليوم وليس غدًا.

فكانت كلمات سنفرو القليلة كالسيف البتار في قلوب من كانوا في قاعة العرش فنظر إليه الجميع في ذهول عظيم.

فقام رئيس الساحرة ووقف مقابلة الملك وانحنى أمامه إجلالًا واحترامًا ثم رفع رأسه ونظر في عين الملك مباشرة وقال: يا سيدي، لا تغضب من أجل ما سأخبرك به، يا سيدي كيف سنحضر واجة إلى هنا؟ وهي في حماية قبائل الجان والمردة. وبخلاف ذلك هي في حماية مرن ملك العالم السفلي وأشرس شيطان على وجه الأرض. إن اقتربنا منها، ستندلع حرب عظيمة وخطيرة للغاية لا أحد يعلم ما مدى تأثيرها في العالم كله. وثق يا سيدي، لم يحدث مثلها عبر التاريخ، وستهدد أمن البشرية بأكملها.

فازداد غضب سنفرو وصاح في وجه: خذوا هذا الرجل من أمامي وألقوه في السجن.

ثم نظر إليهم نظرة حادة وصارمة وقال: من منكم سيتحدث مثل هذا الخائن، سيلاقى مصيره، ومن يضعف معنويتنا، فهو خائن لنا ويستحق الموت.

ثم ازدادت حدة نبرة صوته وقال: في غضون ثلاثة أيام إن لم تحضروها إلى هنا، فجميعكم موتى، ثم ترك قاعة العرش وخرج إلى غرفته.

وكان صباح اليوم التالي داخل القصر مفعمًا بالحزن والكآبة، وفي هذا الصباح جاء شاب في سن الاثنين والعشرين من عمره إلى قصر الفرعون سنفرو. فكان يرتدي على صدره قلادة من الذهب الخالص وطلب مقابلة فرعون مصر، فكان له ما أرده. وقابل سنفرو داخل قاعة العرش.

ورغم حزن سنفرو وكآبته الكبيرة، بسبب ما لحق بالغابات من حرائق ودمار وحرق الأقزام، لم ينسه أنه ضيفه وقابله بترحاب كبير وقال له: قد أخبرني حراسي بأنك تريد أن تراني من أجل أمر مهم، ما هو؟

فانحنى له هذا الشاب وأجابه: اسمي هو رع الصغير يا سيدي، جئت إليك لكي أطلب الأمان من واجة.

فكان سنفرو يملك ذكاءً ثاقبًا ونظرة حادة وإقترب إليه وهو يتفحصه جيدًا وقال له: ولماذا تطلب الأمان من واجة؟ ولما أتيت إلى هنا بالتحديد؟

فرفع رع القلادة المعلقة على صدره وقال: إنها تريد هذه القلادة بأي ثمن.

فازدادت حيرة سنفرو مما سمع وقال: وما العلاقة التي بين القلادة وهذه الشيطانة؟

فاقترب رع أكثر إلى سنفرو وهمس في آذانه: إنها مصدر قوتها وإن حصلت عليها مرة أخرى، ستدمر المملكة بإكملها.

فابتسم سنفرو وقال: إن كنت تكذب، سأجعلك تلعن يوم ميلادك على الأرض، وتتمنى أن تموت كل ثانية، وستطلب الموت ولن تجده.

فابتسم رع وقال: الحرائق متوقفة وهذا دليل على ضعفها، لأنني استطعت أن آأخذ هذه القلادة وهي في أوج قوتها دون أن تشعر بشيء. وإن لم أسرقها في هذا الوقت بالتحديد لأبادت الجميع في لمح البصر. وقد راقبتها جيدًا منذ فترة ليس بالقصيرة وانتهزت الفرصة المناسبة وأخذتها.

فنظر إليه سنفرو بتمعن شديد وبريبة عظيمة وقال له: بعد ما أشعلت الحرب أتيت إلى هنا لكي تزيد الطين بِلة.

فنظر رع إلى الأرض وقال: يبدو أن سيدي قد نسى ماذا فعلت واجة في سكان مدينة تاسا العظيمة والأقزام. أنا وأنت هدفنا واحد هو الخلاص من هذه الشيطانة.

فوضع سنفرو يده على كتفيه وقال: ارفع رأسك إلى فوق واجة ستنال عقابها، وأنت ستبقى معنا هنا في القصر.

وأخذ سنفرو القلادة منه ووضعها على صدره وقال: أذًا فلتأتي واجة لكي تأخذها.

ثم أمر جنوده بحراسة رع الصغير، وبينما كان ذاهبًا إلى غرفته قال بصوت مرتفع: قد جعلتِ الأمر علينا أسهل مما توقعت يا واجة

وبعد ذلك أمر سنفرو بإحضار السحرة والعارفين والمشعوذين فجاءوا إليه مسرعين ووقفوا أمامه. فكان سنفرو جالسًا على العرش ينظر إلى الجميع بتأني، وفجأة أظهر أمامهم القلادة وقال: ما الفائدة التي تعود على واجة من هذه القلادة؟

فاندهش الجميع وكانت عيونهم تنبعث منها الخوف والرعب وصرخوا جميعهم بصوت واحد: إنها قلادة مرمدة العظيمة، الحضارة المندثرة منذ زمن بعيد. وهذه القلادة أخذها ست إله الشر بعدما اندثرت حضارة مرمدة واحتفظ بها حتى أعطاها لمرن قبل نومه، وقام مرن بإعطائها لواجة لكي تسترد قوتها العظيمة، ولكن كيف وصلت إليك؟.

فظهر الرعب جاليًا على وجهه كل من في قاعة العرش إلى أن قام سنفرو وصرخ في وجوهم: قفوا أيها الجبناء وواجهوا مصيركم، لما كل هذا الخوف الذي لحق بكم؟ هل تخشونها؟

فسكت الجميع ولم يستطع أحد أن يتفوه بكلمة واحدة ثم تابع حديثه: إنها قادمة إلينا اختبئوا إن كنتم جبناءً. فضحك سنفرو ونظر إليهم نظرات تتحدى الخوف الذي لحق بقلوبهم، أما هم فازدادوا خوفًا.

في وسط كل هذا الخوف والرعب الذي لحق بهم خرج من بينهم ساحر كبير السن شعره أبيض يستند على عصا وقال: يا مولاي، اسمح لي أن أخبرك ما فائدة هذه القلادة، ولكن أعطني الأمان بإنى لا أموت.

وعلى الفور رفع سنفرو صولجانه، إشارة منه بأنه لا يموت. فتنهد في بطئ وأردف حديثه: من يمتلكها، تجلب له القوة العُظمى سواء كان خيرًا أو شرًا.

ثم ضحك سنفرو وقال: فأنا لا أحتاجها في شيء كل ما أريده هو القبض على تلك الشيطانة، ومجازتها على ما فعلت والقلادة ستكون فخًا لها.

فأجابه الساحر: لا أحد يستطيع القبض على واجة، إلا بقوة هذه القلادة. ولكن احترس يا سيدي، إن غمست هذه القلادة بدماء الأبرياء، ومع بعض التأويل السحرية، سيستخدمها قوات الشر في تحرير هذه الشيطانة. وإن قبضت عليها وتحررت ستدمر كل شيء أمامها. وإن بقيت القلادة نظيفة من غير دماء الأبرياء، لن تستطيع واجة الخروج من سجنها إلى الأبد.

فقال له سنفرو: وإن قيدناها بالزئبق الأحمر، هل القلادة تستطيع تحريرها؟

فصمت الساحر قليلًا ونظر إلى الأرض وقال: نعم تستطيع بطريقة واحدة يجب تقديم ذبيحة في معبد بافومين بدم نقي. رجلًا من نسلك يا سيدي يحمل دمائك. دمائك هي الشيء الوحيد على ظهر هذا الكون تستطيع تحرير واجة بعد أسرها.

وحينما انتهى الساحر مما قال، أمر سنفرو الجميع بالانصراف وذهب إلى غرفته مصممًا على الانتقام من هذه الشيطانة.

وبين الحزن والأسى جلس سنفرو يفكر ماذا يفعل مع واجة؟ ويقطع حبل تفكيره طرقات عالية قوية متواصلة على باب غرفته، ويجيب سنفرو: من في الخارج؟

ثم يفتح أحدهم الباب وتدخل سيدة إلى الداخل، فنهض سنفرو مسرعًا من مكانه وقال لها: أمي العزيزة لماذا أتيتِ إلى هنا؟

وعلى الفور أسرع إليها وقبل يدها، فانتهرته أمه وهي غاضبة وقالت له: إلم أخبرك منذ البداية بإن تقتل واجة؟

فأجابها سنفرو بوجهه الحزين: كيف أقتل أسيرة داخل أرضنا؟

فصاحت أمه بغضب كبير: هذه ليست أسيرة، كيف نسيت دماء سكان مدينة تاسا العظيمة، قد أبادت جميع من في داخلها. والآن كادت أن تبيد الأقزام أيضًا.

فجلس سنفرو في مقابلة أمه وقال لها بصوت أقرب إلى الهمس: اطمئني يا أمي، هذه المرة أعدك بأنني سأفعل ما بوسعي لكي تتحقق العدالة للجميع، ولن تفلت مرة أخرى بفعلتها، ولن أقتلها بل سأجعلها تتمنى الموت كل لحظة في حياتها.

فصاحت أمه في وجه مرة ثانية: أحذرك مهما فعلت ستهرب منك مرات عديدة، يجب أن تقتلها؛ لأنها إن هربت مرة ثانية من يدك ستبيد مدينتك عن بكرة أبيها.

فصمت سنفرو قليلًا ثم قال لها: حديثكِ يا أمي ليس به شيء خطأ، ولكن قتلها لن يفيدنا بشيء إلا بجلب حرب عظيمة مع مملكة العالم السفلي.

فنظرت إليه أمه نظرة حادة وقالت بأعلى صوتها: الحرب قادمة قادمة اقتلها وتخلص منها.

ثم تركته وذهبت، وبقى سنفرو في مخدعه يفكر ويخطط كيف يعد فخًا للوقوع بواجة.

فنصب لها فخًا داخل القصر فجاءت واجة كما توقع سنفرو لكي تسترد القلادة فاستعد لها جيدًا.

وعندما جاءت واجة إلى قصر الفرعون وقعت في الفخ المعد لها، واستطاع سنفرو القبض عليها وسجنها داخل معبد بافومين في قلب مدينة تاسا، وقيدها بالزئبق الأحمر، وبنى عليها حائطًا حجريًّا من السحر الأسود. وكان يعلم أن اختفاءها عن الشياطين لن يدوم كثيرًا وسيجدونها، ولكنهم يحتاجون إلى دمائه أو دماء أحد من أحفاده يملك دمه النقي لتحريرها مرة أخرى. ثم أخفى القلادة في مكان لا يعرفه أحد إلا هو.

❋❋❋❋

ومن خلف جدران الظلام، وفي قلب العالم السفلي. وفي منتصف قاعة شاسعة مترامية الأطراف، كان هناك عرش ضخم صُنِع من جماجم البشر وعظام الحيوانات المفترسة. يجلس فوقه أقوى وأشرس شيطان عبر التاريخ "مرن" ملك العالم السفلي الذي أقسم بأنه سيحمي واجة بدمائه من أي كائن حي على وجه الأرض أو تحتها.

أمر مرن قواته من المردة بالذهاب إلى معبد بافومين للبحث عن واجة. لكنهم رجعوا وأخبروه بأنهم بحثوا كثيرًا عنها في جميع أركان المعبد ووجدوها خلف حائط عظيم لم يستطع أحد أن يحطمه قط، لأنه بُنِي بالسحر الأسود.

وعندما سمع مرن ما قالوا جنوده، أصابته موجة غضب عارمة، ونهض من فوق العرش وصرخ في وجه جنوده: جهزوا الجيش سندمر كل شيء أمامنا، فلن تنعم أرضك يا سنفرو بالأمان أبدًا.

فاستعد جيش مرن المكون من ملايين الشياطين والعفاريت والأشباح والماردة والجان والمستأذبين ومصاصي الدماء.

فقام سحرة مصر بإبلاغ سنفرو ما يقوم به مرن، وما كان على سنفرو عندما علم بما يفعله هذا الشيطان إلا أن قام بتجهيز الجيش، وأرسل بإحضار جيوش الأقزام وتماسيح النيل الطائرة.

ثم ذهب أيضًا إلى أقصى الجنوب ونزل إلى أسفل قاع النهر الخالد وأحضر المقاتل الجبار ذات وجه التمساح (سوبيك)، الذي طالما آمن سنفرو أن الفوز سيتم بإتحادهم معًا.

واصطف الجيشان خارج أسوار مدينة دهشور، حيث اندلعت الحرب هناك، وكانت من أعنف الحروب الضارية عبر التاريخ المصري القديم استخدم الطرفان جميع الأسلحة الفتاكة. واستمر القتال فترة ليست بالقصيرة قاربت العشرة أعوام.

حتى استطاع سنفرو وسوبيك وقواتهما قهر جيوش مرن حتى حدود مدينة تاسا العظيمة، وأثناء مطاردة جيش سنفرو لجيش مرن المهزوم، استطاع مرن وقواته دخول مدينة تاسا والاحتماء بها.

ولم يستطع سنفرو دخول المدينة من شدة مقاومة جيوش مرن، ولكنه استطاع محاصرتهم من الخارج وحبسهم بداخلها.

أما مرن، فنظم جيوشه مرة أخرى داخل المدينة وحاول كثيرًا أن يخرج منها ولكن كل محاولاته باءت بالفشل المريب، بسبب قوة ذكاء سنفرو وسوبيك.

وبعد محاولات كثيرة قرر أن يستسلم للواقع ويبحث عن طريقة لفك أسر واجة وتحريرها من سجنها. وقد ذهب إلى المعبد وحاول مرات كثيرة هدم الحائط ولكنه كان يفشل في كل

محاولة. وظل مرن داخل المدينة هو وجيوشه منتظرين ظهور من يحمل دم سنفرو الدم الملكي النقي لكي يحرر واجة وإيقاظ ست العظيم.

❋❋❋❋

في جو الشتاء الصاقع قارس البرودة، في وسط مصر بالتحديد في إحدى قرى جنوب محافظة الجيزة. كان هناك أسرة مكونة من أربعة أشخاص زوج وزوجته وابناهما وائل وعماد. تعيش هذه الأسرة الصغيرة في شقة متوسطة المساحة في بيت يتكون من ثلاثة طوابق، فكانت هذه الأسرة تسكن في الدور الثالث، وكان الدور الثاني يعيش به عم فريد وزوجته وابنتهم نجلاء. وأما الدور الأول فلم يسكنه أحد.

وفي الساعة ١:٠٠ بعد منتصف الليل كان وائل وعماد يشاهدان فيلم رعب على قناة MBC2.

شعرت أمهما أن الوقت قد تأخر كثيرًا ونهضت من نومها وقالت لهما: قد تأخر الوقت كثيرًا، ولديكم محاضرات في الصباح الباكر، اقفلوا التليفزيون الآن وناموا.

فأجابها وائل وهو ينظر باهتمام كبير إلى الفيلم: سينتهي الفيلم يا أمي وسنذهب إلى النوم، لا تقلقي، فغدًا محاضرات قليلة وليس لها أهمية.

فابتسمت أمه وقالت له وهي ذاهبة إلى غرفتها: اقفلوا الأنوار بعد انتهاء الفيلم.

فأجابها وائل: سأفعل كل ما أمرتني به يا أمي. ثم ضرب أخاه عماد ضربة خفيفة في رجليه وهو يهمس في أذنه: ما رأيك يا أخي أن نستخدم سحر الرصد؟

فكانت كلمات وائل نازلة على آذان أخيه كالبرق المدوي في السماء واعتقد أنه يمزح معه، فالتفت عماد إليه وقال: هل تمزح؟

فضحك وائل وكرر كلامه على مسامع آذان أخيه: ما رأيك أن نجربه؟ ثق لن نخسر شيئًا.

وهنا شعر عماد أن كلام أخيه ليس به أي مزاح على الأطلاق، فنظر إليه متعجبًا من كلامه وقال: هل جننت؟ بالطبع لن نفعل ذلك أبدًا. فهذا مجرد فيلم ليس له صلة بالواقع الذي نعيشه.

فوضع وائل يده على كتف أخيه وقال: الأمر ليس كما تظن، يجب أن تعلم إن مارسنا سحر الرصد، سنصبح أثرياءً للغاية.

فقال له عماد: هناك سؤال يدور في رأسي وأود أن تجيب عليه، ما الفرق بين السحر وعبادة الشيطان؟

فأجابه وائل على الفور: الاثنان واحد لأن السحر هو من تعاليم الشيطان.

فاقترب وائل وهمس في أذن أخيه وأردف: فقط استمع إلى نهاية ما أقوله.

فهز عماد رأسه مستمعًا إلى أخيه، فابتعد وائل قليلًا عنه وجلس على كرسي قريب منه وقال: منذ عامين كنت أجلس بجوار الأستاذ سامي مدرس الرياضيات والدكتور لطيف في القهوة التي تقع على رأس شارعنا. وكانوا يتحدثون حول هذا البيت المهجور الذي يقع في أطراف قريتنا الغربية.

فأجابه عماد وهو واضع يده تحت ذقنه: وماذا قالوا عن هذا البيت؟

فنظر وائل إلى غرفة أمه لكي يطمئن قلبه أن الباب مغلق ولا تستمع إليهما وقال له: كانوا يتحدثون أن هذا المنزل به كنز عظيم.

فنظر عماد إلى أخيه متعجبًا وقال له: ولكني سمعت عكس ذلك: بعض الجيران كانوا يتحدثون عنه، يسمعون أصوات مفزعة في الليل عند مرورهم بجواره.

فأجابه وائل: يبدو أن حراس هذا البيت من الجان والمردة يحرسون الكنز القابع أسفله، لذلك سنلتجئ إلى سحر الرصد لكي نقضي على حراسه.

فأجابه عماد: يبدو عليك الإرهاق الشديد أقترح عليك أن تنام لعل السهر قد أثر عليك، سنغلق التليفزيون وسننام الآن.

فذهب الاثنان إلى غرفتهما فنام عماد، أما وائل فبقى مستيقظًا عقله ملتهب بالتفكير فيمَ سيفعله حتى الصباح.

❋❋❋❋

في الصباح الباكر حيث الهواء النقي الهادئ خفيف النسمة، وأصوات زقزقة العصافير الموسيقية المنتشرة على أفرع الأشجار، والسماء الزرقاء المصطحبة بغيوم الشتاء. وقف وائل في بلكونته التي تقع مقابلة الأراضي الزراعية، يشاهد الفلاحين المنتشرين في حقولهم يعملون بجد بدون كلل أو ملل من أجل لقمة عيشهم. وقف وائل يتمتع برؤية الأرض الخضراء ذات الأعشاب القصيرة، والنخل المنتشر بكثرة في جميع أركان الحقول وأشجار التوت المتناثرة على حافة حقول هؤلاء الفلاحين.

يسحب وائل كرسيًّا بلاستيكيًّا ويجلس عليه، يفكر كثيرًا حول كيفية دخول هذا البيت المهجور وفتح المقبرة القابعة أسفله بسحر الرصد كما كان يظن.

فذهب إلى المطبخ وأعد كوب قهوة على الريحة، وعاد مرة أخرى إلى البلكونة، وأشعل سيجارته الفاخرة التي طالما افتخر بها أمام أصدقائه، وبدأ يفكر بجدية ماذا سيفعل؟

وبعدما أنهى سيجارته جاء في عقله صديقه سعد وصديقته شيرين، اللذان كانا يتحدثان عن أحد الأشخاص الذي له صلة كبيرة بعالم السحر اسمه كما يتذكر (المدون).

وأسرع وائل إلى ارتداء ملابسه وذهب إلى الجامعة وجلس مع سعد وشيرين في كافترية الجامعة كما هم معتادون كل صباح وقال لهما وهو يرتشف رشفته الأولى من كوب الشاي باللبن الذي يعده له عم أشرف كل يوم: أود أن أحدثكم في أمر مهم للغاية، وأرجو منكما أن تساعداني.

ثم نظر إلى سعد وقال له: على ما أعتقد أنك قد أخبرتني عن شخص يُدعى المدون يستطيع فتح المقابر بقوة أتباعه من الجان والمردة؟

فنظر سعد إلى شيرين وهو في حيرة كبيرة ولا يستطيع تفسير الأمر جيدًا، ثم التف برأسه إلى وائل وقال: ألم ترفض ذلك من قبل؟ وأخبرتني أن هذه الأمور دجل وشعوزة، ومن يقوم بها فهو مضل وكاذب؟

فضحك وائل وبدأ في شرب الشاي باللبن وقال: ما زالت تتذكر ما قلته لك بالحرف الواحد، ولكنني أحب أن أضيف لك شيئًا: بعدما أخبرتك بذلك، جلست في هدوء أفكر فيمَ أخبرتني به وتوصلت إلى أن من الممكن أن نجرب ذلك معًا ولن نخسر شيئًا.

فوضع وائل كوب الشاي باللبن أمامه وأردف: يجب أن نصل اليوم إلى المدون، وهناك ستعلم كل شيء، ولكن أخبرني هل أنت تثق به؟

فضحك سعد وقال: الأمر ليس كما تظن، فالأمر ليس له علاقة بالثقة، عالم هؤلاء السحرة ليس به مكان للثقة من الأساس، كل من داخل هذا العالم يخدع غيره ولا يهمه سوى جمع المال. وعند الأموال الجميع يركع لها، بعضهم أخبرني بأن المدون له علاقة مباشرة بعالم الجان وقد أخرج الكثير من الخيرات من أسفل بطون الأرض.

فأمال وائل رأسه قليلًا إلى الأسفل وقال: إذًا متى سنذهب له؟

فقالت شيرين وهي في غاية السعادة: اليوم إن أردت.

فأجابها وائل على الفور: اليوم في تمام الساعة السادسة بعد انتهاء المحاضرات، سأنتظركما بجوار محطة قطار رمسيس ونذهب معًا إليه.

فوضع سعد الحساب على الطاولة وأخذ شيرين إلى المحاضرة، وأما وائل فجلس يتخيل فيمَ سيجنيه من ثروة ضائلة في المستقبل القريب.

❋❋❋❋

وصل سعد بسيارته الفاخرة من نوع المرسيدس الشبح أحدث تصميمات شركة مرسيدس على الإطلاق، وبجواره كانت تجلس شيرين إلى محطة قطار رمسيس في الوقت المحدد في تمام الساعة السادسة مساءً. وكان وائل في انتظارهما وركب السيارة معهما، ثم انطلقوا معًا نحو منزل المدون الكامن في إحدى ضواحي القاهرة الجديدة.

ركن سعد سيارته في جراج خاص، أعده المدون خصيصًا لضيوفه الكبار، كان بجوار منزله. وبينما كانوا متجهين إلى منزله كان وائل يتمتع برؤية الأماكن الفاخرة التي يشاهدها لأول مرة في حياته، من حيث المناظر الخلابة للعيون، والقصور الضخمة الفاخرة ذات الأسوار العالية، والبوابات الضخمة.

فتقدم الثلاثة إلى المنزل يطرقون الباب، ففتح لهم المدون كمن كان يقف خلفه ويعلم بقدومهم مسبقًا. فاستقبلهم بترحاب عظيم وأدخلهم إلى منزله التي لم يتوقع أحد منهم، أنه بهذه القذارة والعفن من الداخل.

حيث كانت الجدران سوداء ذات دهانات متساقطة على الأرض، وحوائط متآكلة. وكان هناك الكثير من الشموع الحمراء المتناثرة في كل مكان داخل منزله. وبخلاف ذلك ما زاد الطين بِلة وزاد الرعب في قلوبهم فقد رأوا صورًا كثيرة معلقة على الجدران. وكان بها الكثير من القطط السوداء تلمع عيونها كالذهب الخالص، وصور لكلاب سوداء اللون وعيونها حمراء كالدم، حيث تبث الرعب في قلوب أشد الشجعان على وجه الأرض، وكانت رائحة المنزل تشبه إلى حد كبير رائحة حيوانات قد تعفنت منذ زمن بعيد.

جلس الثلاثة في غرفة بجوار سلالم المنزل مجهزة خصيصًا لضيوفه، وقد ذهب "المدون" كما يطلقون عليه إلى المطبخ يعد لهم الشاي، ولم يتأخر وجاء سريعًا إليهم وقدم لهم الشاي وجلس بجوارهم وكانت عيونه تلمع مثل القطط الكثيرة المتناثرة على الجدران وقال لهم: قد تعودت أن أعد الشاي بنفسي إلى الضيوف الأعزاء مثلكم.

وبعدما أنهى شرب الشاي، لاحظ القلق والتوتر على وجوههم وأردف: أرى أنكم لم تأتوا إلى هنا من أجل أن تشربوا الشاي فقط، أو من أجل أن تشاهدوا القصور الضخمة أو

الفيلات الفاخرة، أو لمشاهدة هذه الصور الغريبة المعلقة على الجدران. بل أرى في عيونكم شيئًا أكبر من ذلك بكثير. ماذا تريدون بالتحديد؟

فأجابه سعد في توتر كبير: جئنا إليك لكي تساعدنا في فتح مقبرة كبيرة يوجد بداخلها كل ما تشتهي العين.

فضحك المدون بصوت مرتفع ثم توقف فجأة عن الضحك ونظر إليه نظرة صارمة وقال: أخبرني أين هي؟

فأجابه وائل سريعًا: إنها هناك أسفل بيت مهجور في أطراف قريتي الغربية، وبالتحديد بجوار مقابر القرية.

فنهض المدون وتحرك بينهم وكانت عيناه جاحظة إليهم بكل حدة وصرامة وقال لهم: سأساعدكم ولكن يجب عليكم أولًا قبول شروطي.

فنظر الثلاثة لبعضهم في حيرة كبيرة، ثم تنهد وائل بصعوبة بالغة وقال: موافقين على كل شروطك.

فنظر إليه المدون بابتسامة عريضة وقال: عليكم إحضار طفل رضيع معكم غدًا في تمام الساعة الثانية فجرًا، سنقدمه ذبيحة إلى حراس الرصد.

فأصاب الذهول كل منهم وتسمروا في أماكنهم كالصخر، فنظر وائل إليهم في ذهول منقطع النظير. ثم نهض وأسرع إلى الخارج وقد لحقوا به الآخرون. وانطلقوا بالسيارة نحو إحدى المقاهي الفاخرة بالقاهرة. فكانت الصدمة عظيمة وجلية بشدة على وجوههم،

وضرب سعد الطاولة بيده وقال: بكل تأكيد هذا الحيوان كان يمزح، لن أفعل ذلك مهما تطلب الأمر.

فنظرت إليه شيرين نظرة شيطانية وكان الشيطان قد دخل قلبها وأغواها بالثروة الكبيرة والأموال الغزيرة التي ستنسكب عليها. ولم تفكر في الشر الذي سيجلب عليها الموت، فوضعت يدها على يده وسارت في جسده رعشة خفيفة هزت جسمه بشدة وقالت له بدلال كبير: هل تتراجع الآن؟

وازدادت حدة نبرة صوتها فجأة وأردفت: عندما أصبحنا قريبين جدًا نحو مستقبل مشرق، تتراجع؟ انظر إلى ما ينتظرنا إن فعلناها معًا، سنسافر إلى سويسرا وكندا سنذهب إلى أعلى جبال ألمانيا الشاهقة. سنبني قصرًا عظيمًا فوق هضبة تشينغهاي، وسنمر داخل طريقها السماوي معًا، وسنعيش في أفخم الأماكن في العالم.

وبعدما أنهت كلامها المعسول الذي يبدو من الظاهر كالعسل، ولكن بالحقيقة يكمن كل الشر في باطنه. فنظر سعد إلى عينيها الخضراء وسرت بداخله رعشة قوية هزت جسده بعنف شديد، وقد ضعف أمام جمالها وقال لها: سأفعل ما تريديه مني، ولكن اقنعي وائل بهذا الكلام أولًا.

فهمس وائل لهما بصوت منخفض خاشيًا أن يسمعه أحد: لن أفعل ذلك أبدًا، كيف أقتل طفلًا رضيعًا من أجل الشعوذة والدجل؟ فحركت شيرين الكرسي الجالسة عليه نحو وائل واقتربت إليه وهمست في آذانه: إن لم تفعل ذلك، فلن تتزوج من سارة أبدًا صديقتك الجميلة التي تجلس دائمًا بجوارك في المدرج، وبخلاف ذلك لن تذهب إلى أمريكا لكي

تحصل على رسالة الماجيستير والدكتوراة. وها قد جاءت فرصتنا الوحيدة لكي نحقق أحلامنا وأنت ترفضها.

فصمت الثلاثة صمتًا رهيبًا وسيطر عليهم الفكر الشيطاني أكثر وأكثر، حتى قطع هذا الصمت الرهيب صوت سعد وهو يقول: العقبة الوحيدة التي سنواجها الآن هي، من أين سنجلب هذا الرضيع؟

وأثناء حديثهم حدث ما لم يتوقعه أحد منهم، أتت امرأة يبدو عليها الفقر المدقع تبحث عن لقمة عيشها عن طريق بيع المناديل والعسلية. وكانت تحمل على ذراعيها طفلًا رضيعًا. فنظر إليها سعد نظرة شيطانية جهنمية لا توصَف وهمس لهم: أن الحظ دائمًا ما يبتسم لي، انظروا إلى هذه المرأة اليائسة من الحياة تحمل بين ذراعها طفلًا رضيعًا سنخطفه وسنذهب إلى المدون.

فحزن وائل بشدة على ما هو عازم فعله، ولكنه كان مضطرًا لفعل ذلك من أجل الأطماع الكبيرة التي أوهمته بها صديقته شيرين. فانصاع إلى طريق نهايته، طريق اللاعودة التي أتى ولا مفر منه.

وقام واتجاه إلى بائعة المناديل وكان جسمه يرتعش بشدة، ولكنه قاوم من أجل الترف المزيف الذي ينتظره في المستقبل. واقترب إليها وتحدث معها بلين ولطف، ثم فجأة أشعل معها مشاجرة كلامية. وبينما هما يتشاجران، وضعت الأم ابنها بجوارها وهي لا تعلم أنها لن تراه مرة ثانية. وبعد أن تدخل بعض المارين انتهت المشادة الكلامية واعتذر لها وأعطاها فوق حسابها عشرة جنيهات ثم اختفى عن الأنظار.

وبعدما ذهب بعيدًا تعجبت البائعة كثيرًا ونظرت إلى ابنها فلم تجده، فصرخت عليه صراخًا عظيمًا حتى ماتت قهرًا عليه.

فإنطلقت السيارة بهم بعيدًا عن الأنظار حتى وقفت بجوار محطة قطار رمسيس فخرج وائل من السيارة وقال لهما وهو يغلق الباب بكل قوته: سأذهب إلى البيت، خذا هذا الطفل حتى الليل، واتصلا على هاتفي وسأخبركما أين أراكما.

فرجع وائل إلى البيت حزينًا ومهمومًا، ولم يجد أخاه عماد في البيت؛ لأنه كان في المباراة النهائية في البطولة المنظمة من قبل أهالي القرية، حيث اعتادوا أن تقام في مثل هذا الوقت من كل عام. فنام قليلًا حتى أتى أخوه من المباراة، ونهض من نومه وجلس مع أخيه يشاهدان فيلم رعب كما هو المعتاد كل يوم.

وبعد انتهائهما من الفيلم وفي لحظة يأس مطلقة قال وائل: ألم توافقني بعد على استخدام سحر الرصد ونخرج ما في داخل هذا البيت.

فضحك عماد وقال له: أرى أنك أصبحت تحلم كثيرًا وتتوهم أشياء كثيرة وغير موجودة على الإطلاق. أنصحك بألا تفكر في هذا الأمر، لأن كل ذلك وهم ودجل وشعوذة.

فدق قلب وائل بشدة وقال بضحكة فاترة حزينة: أمزح معك يا أخي. وضحك الاثنان مع بعضهما.

وفكر وائل في داخله: ليتك يا أخي تعلم ماذا فعلت وسوف أفعل.

فنظر وائل إلى أخيه بحسرة عظيمة ثم قال له: لا أستطيع أن أسهر اليوم أكثر من ذلك سأنام الآن.

فنظر عماد إليه وقال: ليس من عاداتك أن تنام مبكرًا هكذا، ماذا بك؟

فأجابه وائل وهو يغلق عينه: ليس هناك شيء، فأنا أود أن أنام لأنني متعب للغاية.

ثم تركه وذهب إلى غرفتهما ونام نومًا عميقًا حتى دق المنبه في تمام الساعة الثانية صباحًا، فنهض وائل وأغلق المنبه.

واطمأن أن أخاه نائم، وأخذ معطفه وذهب إلى أصدقائه وقد نسى الباب مفتوحًا، وقد أعلن نهايته بيده في طريق اللاعودة، فذهب وائل إلى المقابر ووقف بجوارها. ثم أرشد أصدقاءه إلى مكانه عن طريق الموبيل وأتوا سريعًا. وكان معهما المدون والطفل الرضيع ودخلوا جميعهم البيت في تمام الساعة الثالثة فجرًا.

❋❋❋❋

استيقظ عماد مبكرًا منقبض القلب حزين الروح ولا يعلم سببًا لكل هذه الكآبة التي حلت عليه فجأة. فنظر بجواره فلم يجد أخاه في الفراش، اعتقد أنه يغسل وجهه أو سبقه إلى الجامعة. فنهض عماد من فراشه وذهب إلى الحمام ليغسل وجهه فوجد باب الشقة مفتوحًا، فاطمأن قلبه فتنهد بابتسامة خفيفة وقال: يبدو أن وائل قد ذهب إلى الجامعة ونسى الباب مفتوحًا. ولكن كان يمتلكه شعور غريب بأن هناك أمرًا ليس جيدًا قد حدث.

فأخذ عماد دشًا ساخنًا وبعد ذلك أعد الفطار وأيقظ أمه وفطر الاثنان معًا، ثم ذهب إلى غرفته، وارتدى ملابسه وأثناء ذلك وجد كل أدوات أخيه من كتب وأقلام ونظارة الشمس الفاخرة وحذائه مازالوا في غرفتهم.

فإزداد خوفه وقلقه على أخيه، ولكنه أوهم نفسه بأن أخاه ذهب إلى الجامعة وأخذ معه الجاكت فقط. كان يطمئن قلبه بكلمات بسيطة، ولكنه كان يعلم أن هناك أمرًا خطيرًا قد حدث لأخيه.

فذهب إلى الجامعة يبحث عن أخيه ولكنه لم يجده، فهرع مثل المجنون يسأل أصحابه ومعارفه في الجامعة وقد أكدوا له: أنهم لم يروه ولم يأتِ اليوم إلى الجامعة. وما كانت إجابتهم إلا أن تزيد قلقه وخوفه عليه.

ورجع إلى قريته يبحث عن أخيه عند أصحابه وجيرانه ومعارفه، ولم يلقَ أي جواب من أحد يطمئن قلبه الخائف. وذهب إلى بيته حزينًا وقلقًا على أخيه ودخل بيته وصعد إلى شقته، ثم جلس على الأريكة التي تقع داخل الصالة يفكر أين ذهب أخوه، وبينما هو يفكر جاءت أمه تسأله: لماذا تأخر وائل ولماذا لم يأتِ معك؟ فكان عماد شارد الذهن فنظر إليها ولم يستطع إجابتها.

فقالت له: هل أصاب وائل أي مكروه، ولا تريد أن تخبرني؟

فنظر عماد إلى أمه وابتسم لها وقال: لا يا أمي لم يصبه مكروه ولكنني لم أره منذ الصباح. وذهبت إلى الجامعة ولم أجده أيضًا. وسألت كل أصحابه فكان ردهم: إنهم لم يروه، وسألت عليه الجيران وأقاربنا ولم يره أحد. لا داعي للقلق يا أمي لعله ذهب إلى أصحابه في قرية من إحدى القرى المجاورة لنا. وسوف يأتي في الليل، فأنتِ تعلمي أنه يحب أن يذهب إلى أصحابه كثيرًا.

فنظر إليها ضاحكًا وأردف: الجوع يلتهم معدتي الصغيرة، أريد اليوم يا أمي ألتهم ذكر بط من يدك الجميلة.

فلم تبالِ أمه بما قاله لأن عقلها كان منشغلًا بابنها وائل، فردت عليه بصوت يعلو القلق والخوف على ابنها: قد أعددت لكما الطعام ولكن أنتظر عودة ابيك من العمل إنه سيصل قريبًا.

فأجابها عماد وهو يتحرك نحو الأريكة: يبدو أنه سيتأخر قليلًا، سأنتظره.

وبعد دقائق معدودة سمع عماد أحدهم يفتح باب الشقة ففرح عماد كثيرًا أعتقد أنه وائل. وعندما قام وجد أن من عاد هو أبوه، يُدعى شادي رجل في الخمسين من عمره أصلع، قصير بعض الشيء. اقترب عماد إلى أبيه وقبل يده وقال له: حمد الله على سلامتك يا أبي، كيف حال يومك في العمل؟

فقال له أبوه: جيد، وكيف كان يومك في الجامعة؟

فأجابه عماد: جيد يا أبي، هيا نأكل لأن معدتي جائعه جدًا وستلتهمنا جميعًا.

فقالت أمه: الطعام على البوتاجاز دقائق قليلة وسيكون كل شيء جاهزًا على السفرة.

فأكل الجميع وبعد الوجبة الدسمة التي كانت بط مسكوفي ورز وشوربة دسمة تناولوا التفاح، ثم قام عماد واتجه إلى فراشه يفكر أين وائل، وتمالكه القلق الشديد حيال أخيه. ولكنه كان يحاول أن يخفي ما بداخله من خوف وقلق من أجل أمه وأبيه وحال لسانه يقول: أين أنت يا وائل، هل ذهبت إلى هذا البيت المهجور ولم تعد.

جلس عماد على فراشه بعد أن شعر بتعب اليوم من زحام المواصلات وكثرة المحاضرات وأصوات الباعة الجائلين بجوار الجامعة وزحام المترو، وقد غلبه النعاس ونام قليلًا. وفي نومه العميق حلم حلمًا فظيعًا. وجد نفسه داخل صحراء مخيفة ذات سماء حمراء كالدم، واقفًا على شاطئ نهر عظيم من الدماء، ومن خلفه صحراء شاسعة مترامية الأطراف، ورمالها سوداء كالليل الكاحل.

فلم يكن عماد من نوع الرجال الذي يتملكه الخوف في مثل هذه المواقف، ولكن في مثل هذه المواقف ترتجف القلوب وتنقلع من أماكنها، وتتجمد الدماء في عروق أشد الرجال بئسًا. وحاول أن يقف في ثبات ولكنه فشل. ومع مرور الوقت بدأ خوفه يتزايد ولكنه بدء يقاوم هذه الصحراء المرعبة، ومن شدة مقاومته بدأ الرعب يتلاشى رويدًا رويدًا، وبعدما كاد أن يلتهمه الخوف من الداخل وقف بثبات يترقب ما سيحدث؟

وفجأة ظهر أخوه أمامه يصرخ من داخل النهر: ابتعد ولا تقترب إلى هنا أكثر من ذلك، أحذرك مهما حدث لا تأتِ إلى هنا. وازداد صراخ وائل: ابتعد من هنا.

حاول عماد أن يدخل النهر لإنقاذ أخيه، ومجرد ما أن وطأة قدمه خطوة واحدة باتجاه النهر، تحول الشاطئ إلى نيران عالية تصل حدها إلى أعالي السماء، فحاول أن يخترق هذه النيران لكنه فشل في عبورها.

فحاول مرات عديدة ولكن الفشل كان له بالمرصاد في كل محاولة يقوم بها، إلى أن جاء صوت مرعب من داخل الصحراء: أخوك أصبح ملكي وقريبًا أنت والجميع ستكونون هنا وتحت سلطاني، وسنحرر سيدة العالم وأعظم شيطانه في مملكة العالم السفلي.

ومن خلف هذا الصوت المفزع كان هناك ملايين من الأصوات المفزعة الرهيبة التي هزت الأرض من شدة هتافها: واجة واجة واجة.

ثم استيقظ عماد من نومه مفزوعًا مرعوبًا يصرخ: لالالالا.

فأسرع أبوه وأمه إليه وبفطرة الأمومة جلست بجواره واحتضنته وقالت: ماذا حدث لك، ما يزعجك أخبرني؟

فصمت عماد قليلًا وجاء أبوه بكوب ماء بارد لكي يشرب ويلتقط أنفاسه وقال أبوه: انتظري قليلًا فهو كان يحلم، يبدو أنه كان حلمًا مفزعًا.

فالتقط عماد أنفاسه ببطء وهدأ قليلًا ثم نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط فكانت الساعة التاسعة مساءً ثم قال: قد تأخر الوقت، إلم يأتِ وائل بعد؟

فأجابه أبوه وهو يشعر بفطرة الأبوية أن هناك أمرًا خطيرًا، ولكنه كان يطمئن أبنه وزوجته: لم يأتِ بعد لعله ما زال عند أصحابه.

فنهض عماد من فراشه وأخذ دشًّا ساخنًا سريعًا، وذهب إلى القهوة التي تقع على أطراف القرية الغربية بجوار البيت المجهور يجلس مع أصحابه. وهناك تقابل مع صديقه أيمن وجلس الاثنان في ركن بعيد عن الجالسين.

لم يكن أيمن حاصلًا على الدكتوراة من أمريكا، أو حاصلًا على الماجستير من جامعة أوكسفورد البريطانية، ولكنه حصل على الابتدائية بصعوبة بالغة. لم يكن شابًا ذا أموال كثيرة، بل كان شابًا يكافح ليلًا نهارًا من أجل أسرته. كان شابًا هادئ الطباع، دائمًا يتكلم بكلمات قليلة، ولكنها ممتلئة بالحكمة، يخلص لمن حوله، لذلك أحبه عماد حبًا جمًا.

فكان عماد جالسًا ذهنه شاردًا ووجهه حزينًا ينظر إلى البيت المهجور فقال له أيمن: لماذا وجهك حزين وعابس، ولماذا تنظر إلى هذا البيت بنظرة مريبة؟ هل بينك وبينه ذكريات حزينة؟

ثم ضحك أيمن ضحكة خفيفة، وأما عماد بقى على ذهنه الشارد ووجهه الحزين فتعجب أيمن وقال له: لماذا وجهك مكتئب اليوم هكذا؟ إن لم تخبر صديق طفولتك وبير أسرارك بما يحزنك، لمن ستبوح بأسرارك؟

فنظر عماد إليه نظرة حزينة ومكتئبة ورد عليه بصوت يشوبه الحزن والألم: وائل خرج منذ الصباح ولم يعد حتى الآن سألت عليه الجميع فلم يره أحد. ولكنني أعتقد أنه قد دخل هذا البيت ولم يخرج منه.

فوضع أيمن يده على كتف عماد وهو ينظر إلى البيت المهجور وقال له: لا أعتقد أنه قد دخل هذا البيت أنت ترى أنه مغلق جيدًا.

ثم ضربه بلطف وأردف: لا تقلق عليه لعله ذهب إلى أصحابه وسيعود قريبًا.

ونظر أيمن خلسة إلى البيت ثم اقشعر بدنه من هول ما رأى، فكان هناك أحد يقف في إحدى نوافذ البيت من الأعلى. فظهر الخوف جليًا على وجهه، ثم نظر إلى ساعته وأردف حديثه: سأتركك الآن يا صديقي هناك ضيوف ينتظروني في البيت وقد تأخرت عليهم.

ثم نهض سريعًا وهو ينظر إلى البيت نظرة ممتلئة بالخوف والفزع. وترك عماد وأسرع إلى بيته، تركه يغوص في ألمه وحيدًا لا معين له في هذه الحياة، تركه جالسًا وحيدًا شارد الذهن

يشرب القهوة بشراهة ولم يبالِ عماد بحديث أيمن الذي يبدو عليه أنه غير طبيعي إلى أن شعر بالنعاس وصعد إلى شقته ونام منهمكًا في التفكير على أخيه.

❋❋❋❋

استيقظ عماد مفزوعًا من نومه على سماع صراخ عنيف قادم من الشارع، نساء تصرخ بل توقف وبدون كلل أو ملل. نهض عماد مسرعًا وقلبه ينتفض واتجه إلى نافذة غرفته ينظر إلى ما يحدث في الشارع.

البعض يبكي بحرقة، والبعض الآخر يصرخ ويلقي التراب على رأسه ويتمرغ على الأرض. حالة من الجنون أصابت الشارع. بدأ عماد يراقب الجميع من غرفته ويتساءل: لماذا يقفون أسفل بيتنا؟

وقف عماد كالصخر مذهولًا يتابع بعض النساء من غرفته التي بدأت تسير بعيدًا باتجاه البيت المهجور. انقبض قلبه وأشتعل عقله، وقف لثواني قليلة يفكر هل يبكون على أخي؟ ثم أسرع عماد إلى الشارع لكي يعرف ماذا يحدث؟

وعندما خرج من غرفته، استوقفه أبوه وقال له: ماذا حدث في الأسفل يا ابني؟

فأجابه عماد وهو مسرع إلى الأسفل: لا أعرف يا أبي، سأذهب لكي أعرف ما حدث بالظبط وسأخبرك.

نزل عماد إلى الشارع وكان الجميع ينظر إليه فسأل أحدهم بقلب منقبض: ماذا حدث، لما كل هذا الصراخ؟

فنظر هذا الرجل إلى الأرض ولم يخبره بشيء، فازداد عماد حيرة وشكًا إلى أن اقترب إليه أيمن وقال له بعيون ممتلئة بالدموع: هيا نذهب من هنا وستعلم كل شيء.

فأسرع الاثنان إلى نهاية الطريق الزراعي المؤدي إلى الصحراء حيث مقابر القرية، فهناك وجد عماد عددًا كبيرًا من الناس واقفين وفي وسطهم أشياء متناثرة على الأرض مغطى بأوراق الجرائد.

فانقبض قلب عماد وهو يقترب إليهم، فكلما اقترب، ازداد انقباض قلبه أكثر وأكثر، فبدأ يتحرك ببطء كبير إلى أن وصل إليهم فأشار أيمن لبعض الواقفين بالابتعاد وقال: ابتعدوا أرجو أن تبتعدوا قليلًا.

فاقترب عماد إلى أوراق الجرائد فوجد وائل أخاه مقطوع الرأس وثلاث جثث أخرى ملقية على الأرض ومتشوهة الملامح، والدماء متطايرة في كل مكان فصرخ بصوت عظيم: آه يا أخي من فعل بك هذا؟

ثم وقع على جسد أخيه وبدأ صراخه يتزايد ووضع التراب على رأسه ولم يكن مصدقًا ما يراه، أخوه الوحيد جثة هامدة أمامه.

فوضع أيمن يده على كتفه وقال: قد وجدناهم هنا، ولم يرَ أحد من قتلهم.

وكان يقف هناك رجل كبير السن عظيم الهيبة يُدعى شريف وقال لهم: هيا يا رجال نحمله إلى بيته.

فأجاب أيمن: انتظر يا عم شريف فإن الحكومة قادمة بعد قليل لتعاين مسرح الجريمة.

ولم تمضِ سوى دقائق قليلة وكانت أصوات سرينة سيارات الشرطة تعلو جميع الأصوات، فجاءت الشرطة وعاينت مسرح الجريمة وباشرت التحقيقات مع الجميع أيامًا كثيرة ولم تصل إلى الجاني وأغلقت القضية وقيدتها ضد مجهول.

❋❋❋❋

ومضت الأيام والشهور وأصبح ما حدث في طي النسيان، وأصبحت الحكاية ذكرى من الماضي الأليم. ولم يعد أحد يتذكرها فقد نسى الجميع كل ما حدث كما هي طبيعة البشر، باستثناء عماد وأبيه وأمه وأيمن. وظل صدى صوت وائل يرن في أرجاء البيت، وطيفه يجول بل توقف في أنحاء أركانه.

تبكي أمه من حسرة قلبها على ابنها الذي خُطِف من بين أحضانها، خُطِف منها أعز ما تملك في الكون، ولا أحد يعلم من قتله؟ ودائمًا ما كانت تتذكر كل شيء منذ صغره، قلقها عليه، عصابيتها، حنانها، وكل شيء. لما لا تبكي وهي أمه التي حملته تسعة أشهر داخل أحشائها وأرضعته عامين وترعرع أمامها حتى كبر ونجح ووصل إلى الجامعة ولم تكمل سعادتها بتخرجه لأنه مات قبلها...

وفي إحدى الأيام كان يجلس عماد وأبوه يحتسان الشاي فوق بيتهم، يتحدثان حول المحاصيل والماشية ومشاكل انقطاع المياه التي تواجه الفلاحين باستمرار. ولكن عماد ظل وجهه عابسًا، رغم كل محاولات أبيه لإخراجه من الحالة النفسية السيئة التي لحقت به بعد وفاة أخيه.

وكانت عينه متجهة نحو البيت المهجور، ونهض عماد من فوق الأريكة واقترب إلى سور السطح ببطء وسند يده عليه متأملًا ملامحه من الخارج. من حيطان متآكلة وأبوابه القديمة التي تبث الرعب في قلوب أشد الشجعان ويتسمر لها أي جسد مهما بلغت قوته وشجاعته.

ثم ظهر فجأة في إحدى نوافذ البيت، مارد عملاق ذوي عضلات ضخمة وشعره أكرد وهيئته سوداء كظلام الليل. ينظر إلى عماد نظرات غاضبة ويلوح له بيده. ومن شدة الفزع الذي لحق به لم يتحرك من مكانه ووقف كالصخر، فكانت عينه هي الشيء الوحيد التي بقيت تتحرك في جسده.

ثم جاءته رصاصة الرحمة التي أنقذته متمثلة في صوت أبيه ينادي عليه، ومن الفزع الذي لحق به نظر عماد إلى أبيه وهو مجحظ بعينه ولا ينطق من شدة الفزع. فاقترب أبوه إليه ووضع يده على كتفيه فأطاح عماد بيد أبيه بقوة.

ووقف صامتًا عدة لحظات فقال له أبوه: اهدأ يا ابني وقل ماذا رأيت لكي تنزعج هكذا؟

فقص عليه كل ما شاهده، فأمسك أبوه بيده وقال له: اجلس بجواري واسترح وبعد قليل سننزل إلى الشقة فأنت متعب وليس هناك شيء.

فقام أبوه وذهب إلى السور ونظر نحو البيت المهجور وقال له: انظر ليس هناك شيء يدعو إلى الخوف والقلق، استرح قليلًا وسيعود كل شيء كما كان.

وبقى الصمت والذهول مسيطرين على عماد وقام واتجه إلى السور ووقف يشاهد البيت مرة أخرى بعينه ويسترجع عقله كل ما حدث.

قلبه يئن من الوجع على فقدان أخيه ويصرخ: إياك أنت تدخل هذا البيت، أما عقله يصرخ: سر مقتل أخيك قابع داخل هذا البيت.

ومن كثرة الأفكار التي تدور داخل عقله لم يشعر بشيء إلا وهو في حضن أبيه جالسًا على الأريكة معه.

فكان أبوه ينظر إليه بحزن وقال له: إن أخاك قد قتل ولا نعلم من قتله وأنت تعلم أن اخاك ليس له عداوة مع أحد والجميع كانوا يحبونه.

فرفع عماد رأسه ونظر إلى أبيه وكانت الدموع كادت أن تنفجر من عيونه كشالالات الأنهار وقال له بحسم: أعدك يا أبي سأجد من فعلها، حتى لو بحثت عنه في جميع أركان العالم سأجده. ثم نظر إلى البيت مرة أخرى.

فأجابه أبوه: يا ابني أخوك لم يدخل هذا البيت قد دخلنا أنا وأهل القرية جميعًا ولم نجد أي آثار في الداخل تدل على أن أخاك قُتِل داخله.

فقال عماد بنبرة حادة: ولماذا لم تخبروني بذلك؟

فأجابه أبوه: كيف نخبرك وأنت كنت في غيبوبة لمدة شهر؟ قد تركتك يا ابني ولم أخبرك لأنني أردت أن تستعيد كامل قوتك وصحتك، ويجب أن تعلم اليوم أو الغد سنعلم من فعلها وسنقدمه إلى العدالة. والآن هيا نشرب الشاي قبل أن يبرد، فهو من يد أمك، فشايها له مذاق خاص.

فهدأ عماد قليلًا ولم يعلق على ما قاله أبوه، وبعد دقائق قليلة رن جرس البيت فنظر عماد إلى الأسفل لكي يجد صديقه أيمن ينتظره، يريد أن يجلسا معًا على القهوة.

فأجابه عماد: انتظر سوف أنزل إليك الآن.

فاقترب عماد إلى أبيه وقبل يده وأخذ منه الإذن لكي ينزل يجلس مع صديقه. فأجابه أبوه وهو يبتسم: أنت كبرت كثيرًا على ذلك، اذهب إليه وأرسل سلامي له.

فأجابه عماد: أشكرك يا أبي على ثقتك الغالية، فمهما كبرت فأنا ما زلت طفلك الصغير المدلل.

فأجابه أبوه مبتسمًا: اذهب الآن أيمن ينتظرك بالأسفل.

فقبل عماد يد أبيه مرة ثانية ثم تركه وذهب إلى صديقه.

****

تجلس والدة نجلاء على الأريكة وتنظر باتجاه ابنتها نجلاء ذات العيون الزرقاء والشعر الأشقر والقوام الممشوق. التي كانت تشاهد إحدى المسلسلات التركية الرومانسية وتصيح غاضبة إليها: لماذا ترفضي العرسان الذين يتقدمون إليكِ؟

تبتسم نجلاء إلى أمها ثم تغمس إليها برمش عيونها الزرقاء الجميلة البراقة: كم أنتِ جميلة يا أمي، كنت أتمنى أن أملك عينين جميلتين مثلك.

تكتم الأم غيظها وتبتسم إلى ابنتها: يا ابنتي أتمنى أن أراكِ في بيت الرجل الذي يحبك وتحبينه الذي تشعري معه بالأمان طوال عمرك، الرجل الذي يحتملك في أشد الأوقات حزنًا وبؤسًا لكِ. على الأقل اجلسي مع الرجال الذين يتقدمون إليكِ.

تأخذ نجلاء نفسًا طويلًا ثم تتنهد بغيظ وتلتفت إلى أمها ببطء: يا أمي لا أريد أن أتحدث في هذا الأمر كثيرًا ولا أطيق أن أنظر إليهم لأن قلبي مشتعل بحب رجل واحد ولن يستطيع أحد غيره اقتحامه.

تتسع عيون الأم فرحًا مما سمعت من ابنتها: إذًا من هو سعيد الحظ الذي اقتحم قلبك واستحوذ على عقلك؟

تضحك نجلاء ثم تبعد نظرها عن عين أمها وتشاهد المسلسل التركي مرة أخرى ويتلعثم لسانها من الكسوف: سأقول لكِ من هو هو يا أمي عماد ابن عم شادي.

ما أن لبثت نجلاء في انتهاء كلامها إلا أن تلقت كفًّا على خدها وصراخ من أمها: أخوه قد قُتِل العام الماضي وليس هناك أحد في جميع أطراف الأرض يعلم من قتله، وقد أقسم أنه لن يتزوج إلا بعد أن يسلم قاتل أخيه إلى العدالة.

فقامت نجلاء مبتعدة عن أمها شاردة الذهن، ثم جلست على كرسي بجوار التليفزيون تنظر إلى أمها: إذًا سأبحث معه وسنغلق هذه القضية إلى الأبد.

فابتسمت أمها وقامت وجلست بجوارها واحضنتها في حضنها الدافئ الذي طالما قام باحتوائها منذ صغرها، الذي طالما بكت عنده نجلاء، ولما لا تبكي في حضن أمها فهو الملجأ الأمين الذي يحتوينا في أشد الأوقات حزنًا وفرحًا.

ثم طبطبت أمها على ابنتها: ولكن يا ابنتي لماذا تثقين إلى هذا الحد أنه يحبك؟

فابتسمت نجلاء في خجل ثم نظرت إلى أمها: إنه يحبني كما أحبه، فقلبي هو الذي اختاره ونحن ليس في أيدينا شيء نفعله لنرفض الحب.

فضحكت أمها وضربتها على كتفها: يبدو أن الحديث معكِ سيطول ولن يأتي بجديد، وأبوكِ سيعود بعد قليل سأذهب لتسخين الغذاء لحين انتهائك من هذا المسلسل.

بعض الطرقات الخفيفة على باب الشقة تذهب نجلاء لكي تفتح الباب وتتمتم ببعض الكلمات: ألم تحمل مفتاحًا للشقة يا أبي قط.

فضحك الاثنان وقبل فريد رأس ابنته وذهب وجلس على مائدة الطعام: أين الطعام يا زوجتي العزيزة؟ فأنا جائع جدًا.

فخرجت والدة نجلاء من المطبخ حاملة صينية عليها الكثير من الطعام الذيذ فأكل الجميع وبعد الانتهاء مما كان عليها غسل فريد يديه ونظر إلى زوجته وقال لها: الطعام لذيذ جدًا يا عزيزتي تسلم يدك.

فضحكت زوجته وقالت: ليس أنا من عمل الغذاء اليوم بل ابنتك نجلاء.

فتعالت ضحكات فريد وقال: إنها تجيد إعداد الطعام مثلك.

فذهب فريد وزوجته إلى البلكونة، وبينما ذهبت نجلاء تعد لهما الشاي، فجلس الاثنان على كرسيين في مقابلة بعضهما. فكان يبدو على وجه فريد الإرهاق فقالت له زوجته: ماذا بك، يبدو عليك التعب؟

فصمت قليلًا وأجابها فريد: ليس هناك شيء يزعجني سوى أني أريد أن أرى نجلاء في بيت عريسها وألعب مع أولادها قبل أن أموت.

فابتسمت زوجته وأمسكت يده ونظرت في عينه: لا تقل ذاك الحديث مرة أخرى ستعيش إلى أن ترى أحفادها.

فضحك الاثنان إلى أن دخلت عليهما نجلاء وقدمت لهم الشاي وجلست بجوارهما.

❊❊❊❊

جلس الاثنان على قهوة أمام منزل عماد، وأمامهما طاولة صغيرة عليها لعبة الدومنا وكوبين من الشاي الخفيف.

يفوز دائمًا أيمن على عماد في هذه اللعبة التي يعتقد البعض أنها تعتمد على الحظ ولكنها تعتمد بالأكثر على الحسابات والذكاء. ثم ينظر أيمن خلسة إلى بلكونة فريد ويغمس إلى عماد بعينه اليسرى وهو يقول: حبيبة قلبك تجلس مع أبيها وأمها في البلكونة.

يتمالك عماد الغضب من صديقه ويقول له: لا تقحم نفسك في ما لا يعنيك، الكلام في هذا الحديث قد أُغلِق بعد مقتل أخي.

فشعر أيمن ما يشعر به صديقه من الحزن والألم اللذين لحقا بقلبه على أخيه الوحيد الذي فقده في ظروف غامضة، ولا يعلم أحد من الجاني حتى هذه اللحظة. ثم أخفض أيمن صوته وهمس في أذني صديقه: هل وجدت دليلًا يصل بنا إلى الجاني؟

فأجابه عماد: ما زلت أبحث عن أي شيء وحتى الآن لم أجد ما يصلنا إلى من قتله.

فالتفت أيمن يسارًا ويمينًا ثم نظر إلى عماد مرة أخرى وأردف: أعرف ظابط شرطة يُدعى هشام من الممكن أن يعيد فتح القضية.

فابتسم عماد ابتسامته الحزينة وقال: لن نحتاج إلى فتح القضية مرة أخرى، مهما بذل المحققون من مجهود، فلن يصلوا إلى أي دليل يصل بنا إلى الجاني.

فوضع أيمن يده على وجهه ثم نظر إلى الأرض: عقلي سينفجر من فعلها؟

فأشار عماد بيده إلى البيت المهجور وقال: انظر إلى هذا البيت البعيد.

فنظر أيمن إليه ثم تابع عماد حديثه قائلًا: هذا البيت يحمل سر مقتل وائل ومن كانوا معه.

فظهرت ملامح الفزع والخوف على وجه أيمن فنظر إلى عماد وقال: ماذا تقصد بما تقوله؟

فابتسم عماد ابتسامة خفيفة تدل على ما يحمله من حزن وأسى وقال: سوف ندخل هذا البيت، هل ستأتي معي؟

فازداد أيمن رعبًا وخوفًا ثم نظر إلى البيت وعاد ينظر إلى عماد بلهفة سريعة وقال له: كيف سندخله؟ وعندما أسير بجواره ليلًا يتعرق جسدي من شدة الخوف والفزع وأسرع جاريًا إلى بيتي.

فضحك عماد وقال له بكل جدية وحسم: سندخله، ستدخله معي أم لا؟

فأجابه أيمن سريعًا بكلمات ممتلئة بالخوف والرعب: نحن أصدقاء منذ زمن بعيد، ثق بإنني سأكون معك في أشد الأوقات بؤسًا. بالطبع سأدخل معك، ولكن متى سندخل؟

فالتفت عماد حوله لئلا يسمعه أحد ويخبر أباه وقال: انتظر حتى أقول لك. فقام عماد وترك أيمن وصعد إلى شقته.

❋❋❋❋

صوت أقدام صاعدة على سلالم المنزل، ثم يفتح باب شقة الأستاذ فريد، وتخرج منه نجلاء متلهفة لرؤية عماد فكانت نظارتها له تحمل كل معاني الحب والعشق وقالت له بصوت فاتر: قد وحشتني كثيرًا.

فبادلها عماد نفس نظرات العشق وقال لها: أشتاق إليكِ ولكني لا أستطيع أن أتقدم إلى خطبتك من أبيكِ.

فلمعت عين نجلاء حزنًا وقالت له: ألم تحبني كما أحبك.

فنظر إلى عيونها الجميلتين مباشرة وقد توقفت كلمات الكون بأكمله في حلقه، ولم يستطع أن يجيبها بكلمة واحدة.

فاقتربت إليه ووضعت يدها على يده وقالت له بدلال كبير: عينك تخبرني أنك ما زلت تحبني، وقلبك ينبض بحبي، ولكنك ترفض الانصياع لهم.

فأجابها وهو خانق الوجه: ألم ننهِ هذا الحديث بعد؟ فأنا بمثل هذه الحالة لا أصلح لكِ، حبي شابًا غيري واتركيني؟ لأني لم أعد أفكر في الزواج مطلقًا حتى أكشف الجناة أمام الجميع وأقدمهم للعدالة.

فأجابته وهي بالكاد ممسكة بدموعها التي كادت أن تفر من عينيها: من يراك تتحدث هكذا يعتقد أنك تتحدث إلى صخر ليس له قلب ولا يملك أي مشاعر بداخله. سأنتظرك مهما طال الزمن، ولو تطلب الأمر أنني أبحث معك عن الجناة، سأفعلها.

فنزلت دموع عماد على جفنه ووقف حزينًا لا يجد شيئًا يقوله وبعد ثوانٍ قصيرة قال لها: أنتِ لا تعلمي بما سيحدث، لا تعلمي أي أمنية تمنيتِ. إنها حرب ولا أعلم سأخرج منها حيًا أم ميتًا.

فأمسكت يده ثم نظرت إلى عينه وقالت له: لم أعشق وأحب أحدًا غيرك طوال حياتي ولن أتزوج غيرك.

فغضب وصرخ في وجهها: هل فقدتِ عقلك لكي تنتظري إنسانًا ميتًا؟

فأحست بلين قلبه وارتسمت الابتسامة على وجهها وقالت له: سأموت معك بل سأموت من أجلك، إن لزم الأمر.

فهدأ قليلًا من غضبه ثم وضع يديه الاثنين على كتفي نجلاء وقال لها: ستدمري حياتك من أجلي، هناك الكثير من الشباب يتمنون موافقتك على الزواج، وستجدين من يحبك أكثر مني.

فأجابته والدموع تنفجر من عيونها وتنزرف على أجفانها مثل شلالات نهر الأمازون: لم ولن أجد أفضل من حبك لي، أحبك كثيرًا.

فضاقت عينه من الغضب وقال لها: لا أريد منك الحب بل أريد منك الكراهية، فأنا لست الشخص المثالي لكي تتعلقي بي كل هذا التعلق.

فازدادت دموعها وأبت أن يشاهد دموعها هذه المرة، فوضعت يدها على وجهها وقالت: إن كان هذا تعلقًا، لكنت نسيتك منذ زمن بعيد، فأنت الإنسان الوحيد الذي ينير طريقي في هذا الكون الممتلئ بالظلام الدامس، أنت الإنسان الذي يُملئ يومي بالفرح والسعادة، وعندما تبتعد عني، أشعر بفراق روحي من داخلي.

فأجابها عماد وهو مغتم الوجه وحزين القلب: حقًا إن كانت محبتك هكذا عظيمة لا توصَف، اوعديني أنكِ ستفعلي كل ما أقوله لكِ؟

فنظرت إليه لحظات قصيرة وقلبها المفعم بالحب والعشق يدق كالصواريخ المنفجرة وقالت له: أعدك بأنني سأفعل كل ما تقوله.

فكذب عماد عليها وقال لها: سوف أذهب إلى مدينة بعيدة في الصعيد وإن لم أعد بعد شهرين أو ثلاثة، تزوجي من غيري، ولكن إن عدت، سأتزوجك. ثم تركها وصعد إلى شقته، فكانت نجلاء تنظر إليه بمشاعر متداخلة تملؤها الحزن والفرح معًا. وعندما اختفى عن أنظارها فرحت كثيرًا ودخلت إلى شقتها وأغلقت الباب ووقفت خلفه وغمرتها سعادة بالغة لا توصَف.

❋❋❋❋

صعد عماد إلى شقته وأعد كوبًا من القهوة السادة، ثم اتجه إلى البلكونة يلتهم قهوته بشراهة في الهواء الطلق، كما يلتهم الجائع اللحم المشوي. جلس عماد على كرسي في إحدى جوانب البلكونة يتأمل الأراضي الزراعية الشاسعة التي ليس له نهاية من بيته، والمنازل الريفية الجميلة، والهدوء التام الذي يسود قريته الصغيرة، يفكر ماذا يفعل؟

كيف يكتشف الحقيقة التي تؤلمه هو وكل أهل بيته بل وكل أهل قريته الذين تناسوا مقتل أخيه. ويفكر في مصير نجلاء التي تحبه. ومن جهة أخرى كان هناك صراع مرير بين العقل الذي يريد نسيان الماضي والتفكير في الحاضر والمستقبل، والقلب الذي يئن من الصراخ على الأخ ويريد تقديم الجناة إلى العدالة مهما كلفه الأمر.

ولكن في النهاية قرر عماد أن يدخل البيت وحيدًا، للبحث عن أي دليل يصل به إلى الجناة، لعل أن يجد شيئًا في الداخل. وخشى أن يلحق مكروه لصديقه أيمن إن دخل معه البيت، لذلك قرر ألا يقحمه في الأمر.

ثم أخرج عماد تليفونه المحمول من جيبه واتصل بصديقه وقال له: هل رجعت إلى البيت أم ما زلت على القهوة؟ فأخبره أيمن: أنا في طريقي إلى البيت الآن، هل تريد شيئًا؟

فتنهد عماد قليلًا ثم قال له: قد فكرت كثيرًا فيمَ دار بيننا على القهوة وقد قررت ألا ندخل هذا البيت أبدًا. فلن نجد شيئًا في الداخل سواء جدران متآكلة وروائح عفنة.

فاندهش أيمن مما سمع من صديقه وقال له: إذًا ماذا ستفعل لكي تكشف الحقيقة وتستريح نفسك؟

فأجابه عماد بصوت حزين ومكتئب: لا أعرف وقريبًا سوف أخبرك ماذا سنفعل؟

فكان أيمن متعجبًا مما سمع وما زاد من تعجبه، حديثهما على القهوة، فكان عماد يظهر إصرارًا وجدية بأنه سيدخل البيت لا محالة وليس هناك قوة على وجه الأرض ستمنعه، فأجابه أيمن: يا صديقي، أنا معك في الشر قبل الخير ولن أتركك أبدًا.

فقال له عماد: أعلم ذلك جيدًا، سأقفل معك لأني متعب كثيرًا وسأنام.

فدخل عماد غرفته وأغلق الباب خلفه وجلس على سريره، وكان تفكيره شاردًا حول ما سيقوم به؟

فبقى جالسًا على سريره حتى الساعة الثانية منتصف الليل، فقرر عماد أن يدخل البيت في هذا التوقيت الخطير من الليل. فكان يعلم عماد أنه ليس من السهل أن تدخل بيتًا تحوم حوله قصص الرعب والخيال، ويقال عنه أساطير مرعبة كثيرة ممن هم حولك.

اعتادت نجلاء أن تجلس بجوار نافذة غرفتها المطلة على الشارع حتى الساعة الثالثة صباحًا وفي هذا اليوم كان النعاس قد بدأ أن يتغلب عليها ولكنها رأت عماد وهو يسير باتجاه الطريق المؤدي إلى البيت المهجور يلتفت يمينًا ويسارًا ويبدو أنه عازم أن يدخل البيت.

وما كانت تفكر به نجلاء بدأ يحدث أمامها، فدخل عماد البيت، وما هي إلا لحظات قليلة وكانت نجلاء خلفه.

فكان يجلس أيمن على القهوة يلعب الشطرنج مع أصدقائه وما إلا دقائق قليله وينهض ذاهبًا إلى بيته. فوجد عماد يسير باتجاه البيت وخلفه تسير نجلاء ولا يراها، عازمة أن تدخل

خلفه، فنهض أيمن وصار خلفهم وقال: تريدون أن تفعلها بدوني. فذهب خلفهما بدون أن يراه أحدهما حتى دخل الثلاثة البيت.

❋❋❋❋

من أعماق الظلام الكاحل المخيم على البيت من الداخل، يلتفت عماد إلى الخلف ليعلم ما مصدر هذه الأصوات فاخترقت عيونه الظلام لكي يجد أيمن ونجلاء يقتربان إليه فصرخ: من أتى بكما إلى هنا؟

فأجابه أيمن بسخرية: ألم أقل لك إننا على الشر قبل الخير معًا، وأنت أردت أن تتخلى عن هذا الوعد وتدخل وحيدًا هنا. فقد خدعتك، عندما قلت لك إنني في طريقي إلى البيت، لكنني كنت أجلس على القهوة أراقبك. فعندما أراك في ضيق، ثق أنني لن أتركك أبدًا، فماذا تريد مني أن أفعل عندما أراك تدخل هنا؟

فلم يجبه بكلمة واحدة ثم أدار رأسه إلى نجلاء مبتسمًا وقال لها: أعلم لماذا جئتِ خلفي. ثم أخرج عماد من جيبه كشافين أعطى واحدًا إلى أيمن وأخذ هو الآخر.

وحينما فتح الاثنان أضواء الكشافات، بدأ عماد يصوب الضوء على الجدران لكي يرى أزرار الإنارة.

فقال له أيمن: عن أي شيء تبحث؟ نحن في بيت قد مرت عليه أزمنة غابرة. وأنت تعلم ونحن صغار لم يذكر أحد أمامنا أن هناك من سكن هذا البيت.

فابتسم عماد وقال له: منذ خمسين عامًا كانت هناك أسرة صغيرة تسكن هذا البيت.

فأجابه أيمن بسخرية: ومن قال لك هذه التخاريف؟

فحدق عماد في عين أيمن وقال: جميع أهالي القرية يعلمون هذه القصة، ولكن هذه الأسرة اختفت فجأة ولا أحد من كبار القرية يعلم أين اختفوا.

رجع عماد يبحث عن مفاتيح الإنارة فاقترب إليه أيمن وقال له: كيف سكنت هذه الأسرة هذا البيت وهو هكذا رديء للغاية؟

فلم يجبه أحد فكانت نجلاء تبحث عن مفاتيح الإنارة في وسط الظلام، فقد صاحت بصوت مرتفع: فقد وجدتها، وجدت مفاتيح الإنارة.

فأسرع إليها الاثنان وقال لها عماد: كفى عن الصياح لكي لا يسمعنا أحد أشعلي الأضواء الآن.

فأنارت نجلاء الأضواء، فكانت أضواء البيت باهتة للغاية، ومع ذلك ظهر البيت لهم كاملًا. فكان مكونًا من غرفتين واسعتين وحمام ومطبخ وممر صغير يفصل بينهم وكان السلم المؤدي إلى الدور العلوي في نهاية البيت من الداخل.

فأسرع الثلاثة بالبحث في أرجاء البيت عن شيء يؤدي بيهم إلى ما حدث لوائل. فكانت الغرفة الأولى من نصيب عماد ونجلاء، أما الأخرى فكانت من نصيب أيمن.

فكانت الغرفة الأولى كبيرة جدًا فكان بها سرير ودولاب وتربيزة صغيرة وحولها بضعت كراسي منتشرة في الغرفة، فكانت الغرفة مرتبة كمن يعيش بها أحد وليست مهجورة. فكان الجو حارًا جدًا داخل الغرفة، رغم أنهم كانوا في منتصف فصل الشتاء.

فلم ينتبها إلى ذلك وبدئوا في البحث عن أي شيء فنظر عماد تحت السرير، وكمن عادة البنات اتجهت نجلاء إلى الدولاب تبحث داخله. فوجدت ملابس كثيرة تلمع بالألوان الفاخرة الجذابة، والكثير من مساحيق الوجه. فأخرجت فستانًا وكادت أن تلبسه إلا أن عماد لاحظ ما تفعله نجلاء فانتهرها على الفور وقال: ماذا تفعلين؟ لا بد أن نخرج من هذا البيت قبل بلوغ الفجر وإلا كُشِف أمرنا.

وقبل أن تعيد الملابس مرة أخرى إلى مكانها لمحت صندوقًا صغيرًا مزخرفًا بنقوش فرعونية ومغلقًا بقفل من خمسينيات القرن الماضي. فأمسكت به وأعطيته إلى عماد وما كان إلا عماد ينظر إليه في اندهاش وتعجب، فوضعه على السرير لكي يمهل نفسه بضعة لحظات يفكر كيف سيفتحه؟

فكان هناك في إحدى أركان الغرفة قطعة حديد صغيرة عثر عليها عماد، فأمسكها عماد وقام بكسر القفل ثم فتح الصندوق.

فكان به الكثير من الأوراق القديمة لونها أصفر ورائحة الأوراق كرائحة الكتب القديمة.

وأخرج عماد الأوراق من الصندوق، ولم يجد به إلا خطوطًا متناثرة بشكل عشوائي كُتِبَت بريشة كما هو معتاد في هذا الوقت.

وبدأ يقلب الأوراق كلها ولم يجد شيئًا، وكاد أن يضعهم في الصندوق مرة أخرى، ولكنه لفت انتباهه بعض الكلمات الصغيرة في آخر ورقة، فكانت: قد اكتشفنا باب المقبرة، ولكننا لا نستطيع فتحها.

فتعجب عماد ونظر في خلف الورقة فكان مكتوب: لا تحاولوا الاقتراب من الباب..... فليس هناك إلا الموت..

فازداد تعجب عماد، وازداد معه ما يدور في رأسه: أيعقل أن أخى حاول فتح المقبرة وقُتِل هنا، ولكن من قتله؟

فوضع عماد الأوراق في مكانها ونهض مسرعًا على إثر صوت أيمن وهو يصيح عليهما.

فأسرعا إليه فقال لهما وهو يبتسم: انظرا يبدو أننا عثرنا على كنز رهيب وسيجعلنا أثرياءً للغاية.

ثم أشار بيده إلى الأسفل وقال: هذه سلالم سوف تؤدي بنا إلى مقبرة فرعونية ضخمة.

فعندما رآها عماد، تذكر ما هو مكتوب في الأوراق فسقط قلبه في قدمه، ولكنه قرر المخاطرة من أجل أخيه.

فبدأ الثلاثة في النزول على السلالم الحجرية المصنوعة من الحجر الجيري إلا أن وصلوا إلى باب المقبرة، فكان طوله مترين ونصف المتر وعرضه مترًا ونصف.

فكان اعتقاد أيمن أنه باب مقبرة فرعونية ضخمة تحتوي الكثير من الآثار والتماثيل الذهبية ومغلقًا بطريقة محكمة وأن هناك رصدًا يحرسها.

ولكن عندما ضرب عماد الباب برجليه، انفتح الباب بكل سهولة، فتعجب الثلاثة وما أن فُتِح الباب خرجت عليهم رائحة كريهة كرائحة الموت.

فأسرعوا إلى الأعلى بواسطة السلالم الحجرية وبعد أن صعدوا كانوا يلتقطون أنفاسهم بصعوبة بالغة. فقالت نجلاء وهي تجلس على إحدى الكراسي: هذه الرائحة تشبه رائحة الموت إنها رائحة تخنق هيا نترك هذا المكان.

فقال عماد وهو ما زال يلتقط أنفاسه: هيا نخرج من هذا البيت وسنعود بعد ثلاثة أيام لكي تخرج هذه الغازات من المقبرة.

فخرج الثلاثة وجمعوا كل ما يلزمهم داخل المقبرة من كشافات وبطاريات ثم عادوا مرة أخرى بعد ثلاثة أيام فوجدوا كل شيء كما كان.

فنزل عماد أولًا على السلالم الحجرية ودخل المقبرة ومن خلفه أيمن ونجلاء وكانت السلالم من الداخل تأخذ شكلًا دائريًّا إلى الأسفل فقال لهم عماد: لا تنسوا شيئًا في الأعلى سنحتاج كل شيء معنا داخل المقبرة.

فنزل الثلاثة إلى الأسفل وفي كل خطوة يخطوها عماد إلى الأسفل، يتذكر ما كتب في الورقة الأخيرة داخل الصندوق وقال لهما: اشعلا الكشافات.

وما أن أشعلا الكشافات، صرخت نجلاء صرخة مكتومة من أثر الصدمة، فكانت المقبرة تحتوي على الكثير من الهياكل العظمية، فاحتضنها عماد وهدأها من خوفها.

فبدأ الثلاثة يستكشفون المقبرة وكان حزن أيمن عظيمًا لأنه اعتقد أنها ممتلئة بالآثار فقال بصوت منخفض: هكذا سيظل حظي سيئًا إلى أن أموت.

فوقف الثلاثة مذهولين أمام ضخامة المقبرة ثم تقدموا قليلًا إلى الأمام ثم أخرج أيمن كمامات ووضعوها على وجوههم لأن رائحة الموت كانت منتشرة.

وكان في نهاية المقبرة مذبح حجري يعلو عن الأرض مترًا واحدًا فتقدم إليه الثلاثة ببطء وحذر فبُث الرعب والخوف في قلوبهم، عندما شاهدوا هيكلًا عظميًّا لطفل رضيع راقد عليه فصاحت نجلاء: ما هذا الكابوس؟

فاقترب عماد إلى المذبح ووضع يده على جثة الطفل ثم نظر إليهم وقال: هذا الطفل يبدو أنه قُدِّم ذبيحة هنا أثناء مقتل أخي.

فلم يستطع أيمن أو نجلاء أن يتفوها بكلمة واحدة من شدة خوفهما فأردف عماد: أنسوا ما تروه هنا وهيا بسرعة نبحث في كل مكان عن أي دليل يثبت أن وائل قد أتى إلى هنا، وسيذهب كل واحد منا في مكان مختلف عن الآخر ثم نعود إلى هنا مرة أخرى.

فبحث الثلاثة مدة ثلاث ساعات فلم يجدوا شيئًا سوى العظام المتناثرة في أرجاء المقبرة.

فقال لهم عماد: فقد بحثنا في كل مكان ولم نجد شيئًا سوى هذا المذبح، هيا بسرعة نبحث بجواره.

فبدأ الثلاثة يبحثون بجوار المذبح فقبل أن يقتربوا إليه ببضعة سنتي مترات، وجد عماد صورة ملقية أسفل المذبح فأخذها وكادت المفاجأة تقف قلبه، فكانت صورة أمه التي كان يضعها وائل دائمًا في جيبه ملطخة بالدماء.

ثم أخذ عماد بضعت ثوان يستوعب ما رأى ثم صرخ: اخرجوا من هنا.

فاقترب إليهما وقال لهما: هيا نخرج من هذا المكان بسرعة، هذا المكان ما يحمل في ثناياه إلا الموت.

فصعدوا على السلالم وكادوا أن يخرجوا، ولكن فجأة أُغلِق الباب عليهم من الخارج قبل أن يخرجوا. وحاولوا تكسيره، لكنهم فشلوا في تحطيمه. ومن خلفهم صاح صوت لشيء يبدو أنه وحش مرعب يضحك كثيرًا وتتعالى ضحكاته رويدًا رويدًا، فكانت ضحكاته مرعبة للغاية. ولم تمضِ ثوان قليلة حتى خرج من الداخل صوت مرعب وفظ: كنت أنتظركم منذ زمن سحيق، مرحبًا بكم في مدينة تاسا.

فنظر الثلاثة إلى الخلف وقد تغير كل شيء من حولهم وبعد ما أن كانوا داخل مقبرة ممتلئة برائحة الموت والهياكل العظمية المتناثرة داخلها، أصبحوا يقفون أمام أسوار عالية ذات أحجار ضخمة ومن خلفهم صحراء واسعة ذات وديان ضخمة.

❋❋❋❋

وقفت نجلاء خائفة مرتعبة من شدة الفزع وقالت: أين نحن، ومن أين جاء هذا الصوت الشنيع؟ ولماذا أُغلِق الباب علينا؟ أنا خائفة للغاية.

فأسرع إليها عماد واحتضنها وقال لها بصوت رقيق: لماذا أتيتم خلفي من البداية؟

ثم نظر إلى أيمن وقال له: ألم أخبرك أنني لن أدخل هذا البيت؟

فأجابه أيمن وهو خائف مرتعب الفرائس: أنا أيضًا ألم أخبرك بأننا سنكون معًا على كل شيء الشر والخير، المر والحلو، على كل شيء في حياتنا؟

فارتعب الاثنان من أثر صراخ نجلاء المنهارة من شدة الخوف الذي تملك منها منذ سماعها الصوت الصادر من المقبرة وظهور مدينة ذات أسوار عظيمة.

فاحتضناها عماد مرة ثانية لكي تطمئن وقال: اهدئي وسيكون كل شيء على ما يُرام.

فكان الثلاثة يلوح لهم في الأفق بوابة ضخمة للغاية، أمامها من اليسار واليمين تمثالين يرمزان لأقوى شياطين العصر القديم وكان بابها ضخمًا. ففُزِعوا مما شاهدوا وتراجعوا إلى الوراء رويدًا رويدًا حتى اختفت عنهم البوابة الضخمة.

وذهب أيمن يستكشف المنطقة لكي يجد مكانًا يستريح فيه، فوقف خلف صخرة شاهقة ونظر من خلفها فوجد في إحدى الوديان أعظم جيش رأيته عينيه. فهذا الجيش كان مكونًا من ملايين الجنود المدججين بالسيوف الحادة، والتروس المدببة الحديدية يحملونها على أيدهم. وكانوا واقفين بانتظام كبير للغاية. ومن أمامهم يقف جيش لا حصر له، فكانت قواته قصيرة القامة، فعلم أيمن أنهم جيش الأقزام التي كانت تخبره بها أساطير الماضي.

أسرع أيمن وأخبر عماد ونجلاء بأن ينطلقوا، فأسرع الثلاثة نحو المدينة مرة أخرى، وعندما أتوا إلى بوابة المدينة، قال أيمن: اللعنة، إننا قد أتينا في يوم يبدو عليه أنه يوم حرب كبيرة.

فنظرت نجلاء إلى عماد وأيمن في خوف ثم ابتسم عماد وقال لها: قلت لكِ إنها حرب، ولم تصدقيني.

ثم نظر إلى أيمن وتابع حديثه: يبدو أن هناك حربًا ستندلع قريبًا بجوار هذه المدينة.

فضحك أيمن وقال له: علينا أن نهدأ قليلًا، فقد ابتعدنا كثيرًا عن هذه الجيوش.

ثم نظر إلى المدينة وأردف: رغم ضخامة المدينة، لكن يبدو أنها مهجورة ولا يسكنها أحد.

فأجابه عماد: لا تتسرع وتحكم على شيء من الخارج، سندخل أولًا وسنرى ما ينتظرنا في الداخل.

فكان الباب مغلقًا بإحكام بالغ الدقة، فحاول أيمن فتحه، ولكنه فشل، وحاول مرة ثانية وثالثة، ولكنه فشل في كل محاولة قام بها حتى يأس وجلس على الأرض بمقابلة البوابة وقال: البوابة مغلقة أمامنا وخلفنا جيش جبار رابضًا في قلب الصحراء، فقد حُصِرنا ولا مفر من الموت.

ولكن لم يطأ قلب عماد شيئًا اسمه اليأس في حياته واقترب إلى البوابة ووضع يده عليها وقال: انهض وافتحها معي، فيدك وحدها لا تستطيع فعل شيء، نحن الثلاثة سنفعلها معًا.

ففتح الثلاثة البوابة بصعوبة بالغة وساروا داخلها، فكانت البوابة ممتدة لمسافة ستة أمتار إلى الداخل. وأثناء سيرهم قال لهم عماد: تُرى ما هذا الصوت المفزع الذي سمعنا داخل المقبرة.

فقالت له نجلاء: دعك من الماضي، ما حدث قد حدث، والآن وقبل أن نمر من هذه البوابة، يجب علينا أن نكون حذرين لأي مفاجأة قد تقابلنا في هذه المدينة. ولكني أسمع صوت نيران، من أين هذا الصوت؟

فأشار أيمن بيده إلى الأعلى وقال: يبدو أنها الأبراج، أعتقد أن هناك من يسكن هذه المدينة ويعد احتفالًا عظيمًا لاستقبالنا، ولكن دعوكم من هذه النيران هيا نكمل طريقنا.

فعبر الثلاثة البوابة وكان في الداخل تمثالان متشابهان بالتمثالين اللذين كانا في الخارج، فأسند أيمن ظهره على إحدى التماثيل الموجودة وقال: قد عبرنا البوابة والآن ماذا ستفعل؟

فابتسم عماد وضربه في كتفه ضربة خفيفة وقال له: بالطبع سنتعمق داخل المدينة ونرى ما فائدتنا هنا، وأود أيضًا أن أخبركما بشيء صغير قبل أن أنسى، فاسم هذه المدينة هو تاسا كما أخبرنا هذا الشيطان داخل المقبرة.

فقالت نجلاء بصوت خافت: يبدو أن أحدهم دعانا إلى هنا ليس من أجل الاحتفال. بل هناك أمرًا خطيرًا قد أُرسِلنا من أجل إنهائه.

وأثناء حديث نجلاء، فعل أيمن هوايته في حب استطلاع واستكشاف كل ما هو جديد حوله، فنظر خلفه إلى البوابة، فظهر الفزع جاليًا على وجهه وقال: انظروا للخلف.

فنظر عماد ونجلاء إلى خلفهما، فوجدا الكثير من الرسومات على الأسوار المجاورة للبوابة مرصعة بأحجار الماس والياقوت الأزرق لبعض الحيوانات مثل: الماعز وفرس النهر والخنزير والقطط السوداء.

فالتفتوا مرة أخرى إلى الأمام وابتعدوا من شدة الخوف فأوقفهما عماد وقال لهما: يجب علينا ألا نخاف من مجرد حيوانات رُسِمَت على الأسوار. نحن ما زلنا في بداية الأمر ولا نعرف ماذا سنواجه داخل هذه المدينة المجهولة. عندما دخلنا المقبرة الملعونة قد ول وقت الهروب والخوف ثقوا أن الخوف هو أول طريق الفشل. ولن نجني شيئًا منه سوى الهزيمة.

ثم وضع قبضة يده اليمنى في كف يده اليسرى وقال: نحن هنا ليس من أجل المرح بل من أجل القتال.

فوقف الثلاثة يتأملون ملامح المدينة من قصور شاهقة فاخرة، وأشجار ضخمة تحجب رؤية ما ورائها.

❋❋❋❋

فوقفوا عاجزين عن الحركة مما رأوا من فخامة القصور ذات الجدران الضخمة التي بُنِيَت من الحجر الرملي. وكانت الأسوار العالية تلف القصور كما لو كانت تحتضنها بداخلها.

وكانت هناك أرض شاسعة خلف القصور لاحت لهم في الأفق، تبدو أنها في زمن ما زرع بها أفضل المحاصيل على وجه الأرض فقال لهما أيمن: كما قلت لكما، ليس هناك بشر في هذه المدينة، وإلا لماذا تركوا هذه الأرض الجيدة تبور، وهذه المحاصيل تتلف؟

فأجابته نجلاء: ليس لأن الأرض غير مزروعة، لا يوجد أحد هنا. الصمت الرهيب هذا يدعو للريبة والرعب، أمر خطير يختفي خلف هذا الصمت المريب.

فقال لهم عماد وهو يسير للأمام ببطء: يجب أن نتحرك الآن وبحذر، لأننا ما زلنا نجهل ما بداخل هذه المدينة.

فتحرك أيمن خلفه وقال له: حتى هذه اللحظة المدينة خاوية ولا نرى أحدًا هنا، ما من شيء هنا يدعو للخوف والرعب؟

فقالت لهما نجلاء وهي ما زالت تتأمل القصور العالية: اصمتا قليلًا، وتوقفا عن الحديث في هذا الأمر، ودعا الوقت يجيب على أسئلتكما.

وفجأة لاح لهم في الأفق فارس يمطضي حصانًا أسود كبير الحجم يلتهم جثثًا متعفنة من قطيع كامل من الحمار الوحشي بأسنانه الحادة. وما أن رأوا ذلك تقيأت نجلاء وأمسكت بطنها ثم اختبأوا بجانب سور إحدى القصور.

وكانت قلوبهم ترتجف خوفًا وعيونهم تلاحق هذا الفارس الذي يحمل في يده سيفًا حادًا وكان يحمل في يده الأخرى ترسًا وعلى وجه قناع من الحديد وكانت قرونه مدببة إلى الأمام.

فشعر هذا الفارس الشيطاني بوجودهم، فالتف إلى الوراء وأسرع في أثرهم ولكنه لم يعثر عليهم.

ثم من الخلف وضع أحدهم يده على فم عماد وقال له: لا تصرخ، إن صرخت، سيقضي عليك هذا الفارس.

وفي بطء شديد بدأ عماد يستدير إلى الخلف. فارتعشت أفراسه من الخوف، عندما رأى وحشًا على هيئة إنسان، يملك رأس تمساح طوله ستة أمتار عريض البنيان.

فقال هذا التمساح: سأبعد يدي عنك في بطء وأحذرك إياك أن تصرخ. وبعد ما رفع التمساح يده التقط عماد أنفاسه بصعوبة بالغة من الخوف الذي سيطر عليه.

عندما نظر عماد إليه، وقف كالتمثال لا يتحرك من شدة الفزع فهدأ قليلًا ثم قال له: من أنت، وماذا تريد منا؟ هل أنت صديق أم عدو؟

فأجابه التمساح: أنا سوبيك إله النيل، تمساح الفراعنة العظيم، فأنا هنا لمساعدتكم وليس لقتلكم. أعلم منذ زمن بعيد أنكم ستأتون إلى هنا. قد تأخرتم كثيرًا ولكن لا بأس بذلك.

فأجابه عماد وهو ما زال يلتقط أنفاسه: وكيف ستساعدنا؟ ومن هذا الذي كان يطاردنا، ولماذا يطاردنا من الأساس؟

فأجابه سوبيك: أحدكم من نسل ملكي عظيم، من نسل فرعون مصر سنفرو، وهناك شر عظيم يحتاج هذا الدم لكي يحرر أعظم وأخطر شيطانة على وجه الأرض لكي يدمر بها العالم.

والآن سأقول لكم نبذة مختصرة عن الشر الذي سوف يواجهكم: إنه مرن أقوى شيطان على وجه الأرض وتحتها، لم يسبق أحد وانتصر عليه وجهًا لوجه، ولكننا انتصرنا عليه بفضل قوتنا وجيوشنا. وأما هذا الفارس الأسود، فهو أضعف ما ستواجهون هنا. ولا تعتقدوا أن هناك طريق للعودة إلا بعد.....

ثم نظر إلى عماد وأردف حديثه: ليس هناك طريق للعودة إلا بعد إتمام مهمتكم التي جئتم من أجلها.

فنظر الثلاثة إلى بعضهم متعجبين مما سمعوا للتو، لأنهم علموا أنه يعلم كل شيء، فقال له عماد: وكيف سنحاربه ونحن أضعف منه بكثير؟ وإن انتصرنا عليه بطريقة ما، كيف سنواجه الآخرين ونحن بدون شيء يحمينا؟

أجابه سوبيك: كنت أعلم أن هذا السؤال يدور في رأسكم.

فوضع سوبيك يده على رأس أيمن، فخرج من يده شعاع أصفر دخل جسم أيمن، ثم ارتمى أيمن على الأرض يتألم ويصرخ. فخاف عماد ونجلاء بشدة من سوبيك وتراجعا بضعة خطوات للخلف، وما إلا لحظات قام أيمن واقفًا على قدميه.

فضحك سوبيك ونظر إلى عماد ونجلاء ثم التفت إلى أيمن وقال له: بماذا تشعر الآن؟

فكانت إجابة أيمن ما إلا مفاجأة كبرى لأصدقائه: أشعر بالقوة والجبروت يسيران في عروق جسدي.

وبعدما أنهى أيمن كلامه وفي سرعة كبيرة، وضع سوبيك يده على رؤوسهما وما حدث مع أيمن قد حدث مع عماد ونجلاء.

ثم أشار بيده إلى نهاية القصور وقال: في نهاية هذه القصور يوجد قصر على هيئة سفينة في داخله ستجدون الكثير من الأسلحة التي ستساعدكم في مواجهتكم أمام قوات الظلام الرابضة داخل المدينة.

والآن يجب أن أترككم، سوف أمضي إلى مكان ما، ولكني أعدكم أنني سوف أعود إليكم مجددًا ولكنني لا أعرف متى.

ثم استدار لكي يتركهم، ولكن بسرعة وضعت نجلاء يدها على كتفه وقالت له: طالما ستساعدنا، لماذا ستتركنا وحدنا في مواجهة هؤلاء الوحوش؟

فاستدار إليها وقال: يجب أن أمضي وأستدعي صديقي، هذه الحرب إن لم ننتصر بها، ستدمر الحاضر والمستقبل.

واقترب عماد إليهم وقال لهم: من هو صديقك هذا الذي تصر على إحضاره إلى هنا، ولماذا لم يأتِ إلى هنا كما أتيت أنت؟ وعن أي حرب تتحدث عنها؟

ثم نظر سوبيك إليه وعيونه كادت أن تنفجر من الدموع وقال له: الحرب التي بدأت ولم تنتهِ بعد، الحرب التي طالما أجلنا خوضها، كان علينا تحطيم المدينة بمن داخلها وليس حصارها. إنها الحرب التي نخوضها كل يوم أمام قوات الظلام. وأما صديقي، فلا دخل لك به.

ثم استدار مرة ثانية وتحرك باتجاه البوابة وأردف: ونصيحتي الأخيرة لكم، اقتلوا أي كائن تقابلونه هنا تدب فيه الحياة.

فقال له عماد باشمئزاز: لماذا لا تريد إخبارنا عن اسم صديقك على الأقل، إن تقابلنا، لا نقتله.

فضحك سوبيك واقترب إليه وقال: هل ما سمعته منك صحيح ستقتله؟

وانفجر سوبيك بضحكاته العالية وأردف: أعتى الآلهة شرًا عجز عن قتله.

فصمت عماد قليلًا ثم قال له: أعتذر عن استهزائي بصديقك، ولكني مصر أن أعرفه.

فضرب سوبيك يده الاثنين في بعضهما وابتسم ابتسامة خفيفة وقال: إذًا لك ما تريده يا دارس التاريخ، إنه أنوبيس إله الجحيم.

فظهرت الدهشة على وجه الجميع بما فيهم عماد وبدون تردد صرخ عماد وقال: الملتهم؟

ثم انقض سوبيك على عماد وأمسكه من رقبته وقال له وهو حانق الوجه: إياك أن تقول ما قلته مرة ثانية.

ثم أسرع أيمن ونجلاء إلى سوبيك وبدأوا في تهدئته وفي بطء شديد وغضب أشد بدأ سوبيك في ترك عماد.

وقال سوبيك ببطء: منذ عهود سحيقة، اندلعت أقوى المعارك بيني وبين إله الشر ست. ورغم أن أنوبيس رفض خوض المعركة معي ضد ست ووقف محايدًا بين الطرفين ولم يشارك في القتال.

فانحدرت الدموع من عينيه على أجفانه وأردف: أما كربيروس حارس بوابة عالم الموتى أعلن في بداية القتال أنه أخذ موقف أنوبيس وأقسم أنه لن يشارك في القتال لحساب طرف على الآخر. ولكن سرعان ما خنث قسمه وخدع أنوبيس وسجنه في أعماق العالم السفلي، ينتظر من ينقذه. ويجب أن أذهب إلى هناك وأحرره بنفسي.

فقطع أيمن كلامه وقال له: وهل تعلم طريقه؟

فنظر إليه سوبيك وأجابه: لا أعلم طريق العالم السفلي بالتحديد، ولكن أعلم من يعرف طريق بوابة العالم السفلي، إنه حارس الغابات مانيتون.

ثم نظر إلى الجميع وأردف حديثه: الوقت يداهمنا يجب أن أحضر أنوبيس بسرعة. الآن سوف أذهب إليه، ولا تنسوا ما قلته إياكم أن لا تتركوا أحدًا هنا على قيد الحياة.

❋❋❋❋

الصمت التام وليس سوى الصمت يسطر على كل شيء ولا أحد يملك إجابة عما يحدث وقطعت نجلاء هذا الهدوء: لا أفهم شيئًا مما قاله سوبيك هل حقًا نقتل كل من نراه هنا؟

فأجابها أيمن: يبدو أن الأمور هنا أعقد مما نتوقع، وهناك الكثير من المفاجآت لم تظهر بعد.

فعاد الصمت مرة أخرى يسيطر عليهم إلى أن عاد صوت فارس الظلام في الظهور مرة أخرى، فقال لهم عماد وهو يراقبه: ليس لدينا حل سوى سماع ما قاله لنا سوبيك، سنذهب إلى القصر الذي أخبرنا عنه.

فنهض الثلاثة وتحركوا بحذر كبير إلى أن وصلوا إلى القصر، فكان يشبه السفينة إلى حد كبير وأسواره عالية وذات أسوار ضخمة وأبوابه مفتوحة على مصراعيها وتقدم الثلاثة بحذر إلى الداخل ثم قافلوا الأبواب خلفهم وكان عماد ينظر إلى خلفه لمراقبة فارس الظلام.

المكان من الداخل يبدو كالجنة كما اعتاد المصريون القدماء بناء قصورهم قالها عماد وهو يراقب كل ركن داخل القصر.

فأجابه أيمن: هذا لا يهمنا الآن. ما يهمنا هو البحث عن الأسلحة والاختباء إلى حين معرفة ما سوف نفعل.

فانطلق الثلاثة للبحث عن الأسلحة داخل القصر، وبعد البحث المتواصل مدة ليس بقصيرة، لم يجدوا شيئًا إلا بعضًا من السيوف وملابس حربية كبيرة تبدو أنها كانت ملك محاربين كبار الحجم.

شعر عماد ببعض التعب ثم جلس لكي يستريح قليلًا على كرسي مصنوع من خشب الأرو وقد غلبه النعاس، ثم رأى وائل غاضبًا يقترب إليه ويصرخ في وجهه: ألم أخبرك أن تبقى بعيدًا؟ لماذا أتيت أنت وأصحابك إلى أعماق الجحيم، أنت لا تدري ماذا ستواجه. قد أتيت بمن معك إلى حافة الموت ولا مخرج لكم.

ثم قام مفزوعًا من نومه ينظر إلى أركان الغرفة، فلم يجد أحدًا ثم خرج من الغرفة يبحث عن رفقائه وعقله مشغول بما رأى.

وبعد ذلك اجتمع الثلاثة في مكان كبير داخل القصر يبدو أنه كان لاستقبال الشخصيات المهمة، وعندما جلسوا، لاحظ أيمن أسفل سلالم القصر ملابس حربية صغيرة تناسب أحجامهم وبجوارها قوس ومعه بعض السهام.

فنهض عماد وقال: الآن علمنا أن سوبيك يريد مساعدتنا .

فارتدى الثلاثة الملابس التي تناسب أحجامهم الصغيرة، وما كان على نجلاء إلا أن تقف تتأمل ملابسها الحربية الجديدة وهي ما لا توقعته يومًا ما أنها ترتدي ملابس مثل هذه لا تناسب أنوثيتها.

ثم أمسك عماد بإحدى السيوف الكبيرة وحمله في يده وكان أيمن ونجلاء ينظران إليه وقال: يبدو أن سوبيك قد صدق في كلامه وأنه صديق وليس عدوًا.

فأجابهما عماد وهو يتأمل ملابسه الجديدة في تعجب: هيا خذوا ما استطعتما حمله من أسلحة لأني أشتاق لمعرفة ما يدور في الخارج.

فأخذ أيمن سيفًا وترسًا وأخذت نجلاء القوس والسهام وانطلق الثلاثة إلى الخارج يبحثون عن فارس الظلام كما أطلقوا عليه.

❋❋❋❋

يركع أمامه ثم ينهض في لهفة ويصرخ: سيدي سيدي إنهم جاءوا إلى المدينة قد رأيتهم عند القصور وبعد ذلك بحثت عنهم وبطريقة ما اختفوا ولم أجدهم.

يجلس مرن على العرش داخل قصره العظيم قصر الظلام كما يطلق عليه أتباعه من المردة والشياطين في أقصى شمال المدينة.

يشير مرن إلى فارس الظلام بصولجانه بأن يقترب إليه، ثم يقول له والابتسامة تملأ وجهه المرعب: لا تقلق وخذ أفضل جنودك واذهب إليهم واحضرهم إلى هنا. ولكن هل رآهم أحد غيرك؟

فأجابه فارس الظلام: لا أعتقد يا سيدي أن هناك من رآهم غيري وإلا قد حدثت معركة بيني وبين إحدى الآلهة المقاتلين معهم.

فضحك مرن وقال له: آلهة؟ ليس هناك الآلهة تقاتل معهم باستثناء سوبيك وأعدك سوف أدمره قبل أن أقتله. الآن اذهب واحضرهم إلى هنا أحياءً أو أمواتًا، لا يهم، ما يهمنا أن تكون دماؤهم حاضرة، اذهب فالوقت يداهمنا.

ثم ذهب فارس الظلام وأخذ معه الخنزير الأسود والقط الأسود.

وبعد ذلك أمر مرن بإحضار قائد جيوشه المشعوذ الأحمر (راسبتون) جسده كجسد ثعلب ضخم، ووجهه كوجه النمر وعيونه سوداء كظلام الليل الكاحل.

يركع المشعوذ الأحمر أمام مرن ثم يقول له: قد أمرت بإحضاري يا سيدي ماذا هناك؟

فأشار مرن إلى المشعوذ الأحمر بالنهوض وقال له: جيوش سنفرو والأقزام تستعد لقتالنا ومعاهم بالتأكيد سوبيك، كم من الوقت تحتاج لتجهيز الجيش؟

فضحك المشعوذ الأحمر ثم قال له بصوت يعلو الغضب: الجيش مستعد للحرب مرة أخرى ومنذ اللحظة الأولى على حصارنا ونحن نستعد للقتال يا سيدي. كما علمتنا أن نكون على أهبة الاستعداد للحرب في أي وقت سنحارب وسننتقم لسيدتنا واجة وسنحررها.

ينهض مرن من فوق العرش ويقترب إلى المشعوذ الأحمر ويضع يده على كتفيه وقال له: جيوش سنفرو يستعدون للحرب هذه المرة بقيادة سوبيك وليس سنفرو، احذر منهم لأن هذا الاتحاد إن لم نستعد له جيدًا، سنخسر الحرب مبكرًا كما خسرناها في الماضي.

فأجابه المشعوذ الأحمر ضاحكًا: نحن مستعدون لتحريرها ولن يستطيع سوبيك أو غيره هزيمتنا مرة ثانية مهما فعلوا.

ثم رفع الاثنان سيوفهما إلى الأعلى كل سيف مقابل السيف الآخر ثم صرخوا: نتعهد أن نحرر واجة وكرروا هذه الجملة ثلاث مرات متتالية.

ثم ذهب المشعوذ الأحمر لكي يعد قوته الضارية من أجل مهمته المقدسة.....

****

الآن نبحث عنه ولا وجود له لعله خشى سوبيك ورحل. قالتها نجلاء وبعد ذلك ضحكوا معًا.

ثم توقف عماد فجأة عن الضحك وأشار لهم بالصمت وقال لهم: استمعوا فأنا أسمع صوت خنزير هل تسمعوا صوته؟

فأجاب أيمن: نعم أسمعه.

ثم ساد الصمت بينهم إلا أن أصوات الخنزير وفارس الظلام قاطعت هذا الصمت.

فقال لهما عماد: اختبئا حتى لا يرانا أحد منهم.

فضحكت نجلاء وقالت لهما: لماذا نخشاهم الآن؟ ونحن نملك القوة العظمى.

فقاطعها أيمن بغضب وقال لها: لا تستهني بقوة خصمك، فمهما كانت قوته، سوى كان ضعيفًا أو قويًا، لا بد أن تتعاملي معه بكل قوة وشراسة. نحن مازلنا نجهل ما نواجه داخل هذه المدينة.

فنظر عماد إلى نجلاء وهو يبتسم وقال لها: هل يبدو أننا ذاهبون إلى دريم بارك أو رحلة إلى الأهرامات؟ وعقب حديث عماد ضحكوا معًا.

فأشار إليهما عماد بالسكوت وقال لهما: إنهم يقتربون إلينا.

فصمت الجميع ونظروا من خلف سور القصر ليجدوا فارس الظلام وقد أتى ومعه خنزير أسود وقط أسود ضخم وهذا الأخير كانت تتساقط منه الدماء بغزارة، كأنه خارج للتو من قتال عنيف.

وقد ظهر القلق على نجلاء وقالت بصوت متلعثم: ماذا سنفعل مع هؤلاء؟

فأجابها عماد: سنبقى هنا لحين ذهابهم بعيدًا عنا.

بينما الاثنان يتبادلان الحديث كان أيمن يراقب ما يحدث في الخارج.

فكان فارس الظلام ومن معه يجولان بين القصور يبحثون عن عماد ورفقائه، ويسيرون على خط مستقيم وكان كل منهم يبحث في اتجاه عكس الآخر فاقترب الثلاثة إلى القصر الذي يشبه السفينة.

وكان الخنزير الأسود يملك حاسة شم قوية فكان يشم أي شيء من مسافات بعيدة، فأشار الخنزير لهما بأن يقفا وقال: فأنا أشم رائحة هؤلاء البشر رائحتهم تشبه إلى حد كبير رائحة القزورات التي أشمها في طعامي، فهم قريبون جدًا منا اتبعوني.

فانصاع الخنزير وراء قوة أنفيه، فتراجع أيمن إلى الوراء قليلًا مختبئًا أكثر داخل السور وقال: اصمتوا قليلًا إنهم يقتربون إلينا.

فنظر عماد ونجلاء خارج السور فوجدوهم يقتربون أكثر وأكثر، فقالت نجلاء: ماذا سنفعل؟ إنهم بكل تأكيد أقوى وأشد منا بأسًا.

فقال لها أيمن: يبدو أنكِ قد نسيتِ ما قلتيه منذ قليل، نحن نملك الإرادة والقوة والعزيمة لتحقيق النصر.

فقال لهما عماد غاضبًا: هذا ليس وقت النقاش الحاد في تفاهات قد حدثت، الآن ماذا سنفعل؟

فأجابه أيمن: سنهرب منهم بكل تأكيد.

فضحك عماد ثم نظر إلى أيمن نظرة حادة وقال له: سنهرب الآن وسيبحثون عنا ثم يجدوننا ونهرب منهم مرة أخرى ويلحقون بنا. إذًا فالحل الوحيد يجب أن نواجههم؟ فنظر أيمن ونجلاء إلى بعضهما في خوف.

فبدأ الخنزير الأسود يقترب أكثر إلى سور القصر والابتسامة تعلو وجهه، لأنه كان يسمع صوتهم فقال: عدوكم وعدونا واحد، فلماذا تختبئون منا؟ عندما علمنا بوجودكم هنا، أسرعنا لمساعدتكم، نحن نعلم من قاتل أخيك الحقيقي إنه سوبيك.

فكاد عماد أن ينخدع من كلماته ويخرج لهم، ولكن قد أمسكه أيمن وقال له: إنه يصنع لنا فخًا دعنا نحن من نصنع له هذا الفخ.

وأردف الخنزير حديثه وهو يتقدم إليهم: هدفكم هو هدفنا أنتم تريدون أن تقتلوا قاتل أخيكم ونحن نريد تخليص المدينة من الشر الذي لحق بها على يد هذا الشيطان مدعي البراءة والإخلاص.

ولكن كان هناك الكثير من الأسئلة التي تدور في رأس عماد: كيف عرف هذا الوحش بمقتل أخي؟ يبدو حقًا أن الوقت سيجيب عن أسئلة كثيرة حائرة في رأسي.

ثم قال عماد بصوت منخفض إلى نجلاء وأيمن: أيها الرفاق، لن نخرج إليه، وإن خرجنا، سنضع أنفسنا داخل فخ لن نخرج منه. والآن جهزا أسلحتكما نموت ونحن نواجهم أفضل من أن نموت ونحن نهرب منهم.

فاقترب الخنزير منهم بما يكفي لسماعهم، فازدادت ابتسامته وأشار إلى رفقائه بالاقتراب إليه، فهجم الثلاثة دفعة واحدة ولم يجدوا أحدًا، فصرخ الخنزير وقال: كيف هربوا من هنا؟ قد سمعتهم يتحدثون إنهم سوف يقاتلوننا.

فابتسم فارس الظلام وقال: يبدو أننا نواجه عدوًا سريع البديهة، يتميز بالمكر والدهاء.

ومن الجهة المقابلة من القصر اختبأ الثلاثة فقال أيمن: فكرة جيدة يا عماد، ولكن كيف عرفت أن الخنزير قريب منا؟

فابتسم عماد وقال له: من رائحته القذرة، ولولا ما قاله لنا سوبيك، لكنا الآن مقتولين.

❋❋❋❋

وكانت نجلاء تقف بجوار أيمن وعماد تراقب الخنزير الأسود وقالت: أستطيع قتله الآن، فهو في متناول سهامي.

فأجابها عماد على الفور: انتظري لا تطلقي سهامك الآن، نحن نريد قتل الثلاثة، وليس ظاهر أمامنا الآن إلا الخنزير.

فوقف عماد يفكر قليلًا ثم قال لهما: أملك فكرة جيدة، منذ قليل صنعوا لنا فخًا، والآن نحن من سنصنع لهم الفخ. اسمعوني جيدًا في البداية كانوا يراقبوننا والآن نحن سنراقبهم من الخلف ومن ثم ننتظر اللحظة المناسبة وننقض عليهم.

فابتسم أيمن وقال: فكرة جيدة، ولكن كيف سنفعلها؟

فأجابه عماد وهو يشير إلى نهاية القصر: سنبقى خلفهم بدون أن يشعر أحد منهم بنا، وسنراقبهم جيدًا إلى أن يصلوا إلى نهاية القصر، وأنتم ما عليكم إلا أن تتسلقوا أسوار القصر من جهة الغرب، أما أنا فسأخرج إليهم وعند إشارتي، أطلقا السهام عليهم، وهذا الرمح الذي بيدك أريده أن يخترق جسد أحدهم، أما من سيبقى منهم على قيد الحياة سوف أقتله بيدي.

ظل الثلاثة يراقبون فارس الظلام ورفقاءه إلى أن وصلوا غرب السور وصعد أيمن ونجلاء إلى أعلى القصر، وكان فارس الظلام يتقدم الثلاثة في البحث عنهم.

وخرج عماد أمام فارس الظلام وصاح: مرحبًا أنا تائه هنا، هل يستطيع أحدكم أن يدلني على الطريق المؤدي إلى موتكم؟

فضحك الثلاثة وانطلقوا باتجاهه، فاستل عماد سيفه من جبعته وبادر بالهجوم عليهم هو الآخر. وأشار بالسيف إلى أيمن ونجلاء، وعندما هجم فارس الظلام ورفقاؤه على عماد، لم ينتبهوا خلفهم. وبعد ثوان قليلة انطلقت السهام عليهم من الخلف فسقط فارس الظلام والخنزير أما القط الأسود فقد هرب، ولكنه تذكر أن لن يعود إلى سيده بهم، سوف يلقى حتفه في الحال. فقرر أن يختبئ لكي ينقض عليهم في اللحظة المناسبة.

وعندما رأى أيمن القط الأسود يختبئ، أسرع إلى الأسفل واختبأ هو الآخر يرصد تحركاته، وبعد قليل خرج القط الأسود من مخبئه وبسرعة فائقة أمسك بعماد وألقاه أرضًا، وكاد أن يقتله بسيفه الحاد، ولكن قد أنقذه رمح أيمن واخترق جسد القط.

وأسرع عماد وطعنه بسيفه حتى تأكد من موته، واقترب إلى الخنزير وفارس الظلام وقال لهما: حظًا موفقًا أراكما في الجحيم.

ثم انقض عليهما بسفه وقتلهما، وأشار عماد إلى نجلاء بأن تنتظرهما داخل القصر ثم ذهبا إليها.

وبعد أن خيم الظلام على المدينة جلس الثلاثة يفكرون ما الخطوة التالية التي يجب عليهم اتخاذها فقال عماد لهما: الآن تخلصنا منهم، ولكننا لا نعلم ما سيخرج علينا من داخل المدينة، يجب علينا أن نتخذ كل حذرنا، وكلما تقدمنا إلى الأمام، اتضحت الأمور أكثر.

فقالت له نجلاء في ذعر مصطنع: يجب أن نبقى هنا، ونحارب ما يأتي إلينا لحين قدوم سوبيك.

فانتهرها أيمن في غضب ثم أسند ظهره على الأريكة وقال لها: إن بقينا هنا ننتظر سوبيك أكثر من ذلك سنلقى حتفنا.

فازداد غضبه وأردف: كان من المفترض أننا الآن نبحث داخل هذا البيت الملعون عن دليل يصل بنا إلى قاتل وائل، وبدلًا من ذلك أصبحنا نواجه وحوشًا ضارية لا نعرف لماذا تهاجمنا؟ عقلي سينفجر من كثرة الأسئلة التي تدور داخله.

فاقترب إليه عماد وقال له: اهدأ يا صديقي، سنخرج من هذه المحنة، وسنخرج من هذه المدينة وسنصل إلى قريتنا بخير كما جئنا.

فوضع الثلاثة أيدهم على بعضها وتعهدوا بأن يدافعوا عن بعضهم حتى آخر قطرة دم من دمائهم وقال لهما عماد: الآن سنتجه إلى الشمال. بقاؤنا هنا لن يجدِ نفعًا، بل سيكلفنا حياتنا.

ووقف صامتًا لوقت قصير وأردف: ولكني أعتقد أن سوبيك عندما قال لنا: إن أحدنا نحن الثلاثة يملك دماء سنفرو الخالصة، ويحتاج مرن أعظم الشياطين دماءه كما وصفه سوبيك لكي يحرر واجة. ولكن السؤال الذي يدور داخل عقلي الآن: لماذا لم يقتلونا كما قتلوا وائل داخل المقبرة وأخذوا دماءنا؟

فأجابه أيمن: أنت قلت سيحرر واجة وكان هناك داخل المقبرة مذبح يقدمون عليه الأضاحي البشرية، لذلك يجب تقديم حفيد سنفرو أضحية على مذبح مماثل لما رأينا هناك.

فنظر إليه عماد وقال له: تحليلك للأحداث الجارية يبدو صحيحًا إلى حد ما. والآن يجب أن نبحث عن المدعو مرن لكي نقتله ونعود إلى قريتنا.

❋❋❋❋

الظلام، وليس سوى الظلام الدامس مخيم على أشد الغابات رعبًا يقف سوبيك يشاهد الأشجار الضخمة ذات الأوراق الكبيرة والمرعبة تخفي فوق طياتها أشاعة الشمس.

يتحرك سوبيك بحذر شديد إلى الداخل وهو يراقب كل الأشجار كمن ينتظر شيئًا سيخرج من خلفها، وبقى هكذا على حاله بوقت ليس بقصير إلا أن هطلت الأمطار وبعكس الطبيعة قد ذبلت الأشجار الضخمة المخيفة وتحولت إلى أشجار ميتة.

وازدادت قوة الرعد والبرق وازداد المشهد رعبًا، ولكنه بعد كل ذلك تقدم إلى الأمام بخطى ثابتة وهو لا يبالي بما قد يحدث له. إلى أن خرج عليه رجل عجوز يلتحي بلحية كبيرة بيضاء ويرتدي حزامًا يتدلى منه قراب سميك لستر العورة ويستند على عصا كبيرة ويصيح: لماذا جئت إلى هنا أيها الغريب؟

فأجابه سوبيك وهو يرمقه بنظرة حادة: جئت إلى هنا لمقابلة حارس الغابة مانيتون.

فاقترب العجوز قليلًا إلى سوبيك وقال: ماذا تريد منه؟

فأجابه سوبيك وهو يضغط على أسنانه بشدة من الغيظ: الأمر لا يعنيك أيها العجوز، إن كنت تعلم مكانه، أخبرني به، وإن كنت لا تعلم أين أجده فمن الأفضل لك ألا تتدخل فيمَ لا يعنيك.

فضحك العجوز ضحكات عالية مخيفة ولم تمر سوى بضعة لحظات وتحول من رجل عجوز إلى ذئب ضخم يفوق حجم سوبيك ثلاثة أضعاف، فصرخ الذئب: أنا مانيتون، ماذا تريد مني؟

فوقف الاثنان في مقابلة بعضهما، وكانت وجوههما تنبعث منها شرارة التحدي والغضب وأجابه سوبيك: لا أريد شيئًا سوى أن تخبرني أين أجد بوابة العالم السفلي؟

فظل مانيتون يضحك ثم توقف فجأة عن ضحكه وقال: إن كنت تريد حقًا التقدم نحو بوابة العالم السفلي، يجب أن تمر من هذه الغابة وهذا إن بقيت على قيد الحياة.

ثم لكمه لكمة سريعة في وجهه، فسقط سوبيك على الأرض ولكنه عاد ووقف سريعًا فنظر سوبيك إليه بسخط ثم أنقض عليه بأسنانه فتلاشى الذئب ضربته فقال له وهو يضحك: يبدو أنني أواجه مقاتلًا من الطراز الفريد؟

فأجابه سوبيك: أعطيك آخر فرصة لكي تنجو بحياتك، بإمكانك أن تختار أن تكون معي أو الموت على يدي.

فضحك الذئب وقال له: لا تقلق فأنا من سيرسلك إلى الجحيم ليس ماشيًا على أقدامك بل زاحفًا على بطنك.

ثم زمجر سوبيك بصوت عالي وانقض عليه فأمسك سوبيك بمانيتون من أسفل العمود الفقري وقال له: لا أريد قتلك ولكني لا أريد أيضًا أن تعيقني من أداء مهمتي وهي إنقاذ صديقي القديم، أخبرني أين هو الطريق المؤدي إلى العالم السفلي؟

فركله مانيتون بكلتا رجليه الاثنين ومن شدة الضربة تراجع سوبيك إلى الخلف واصطدم في الأشجار، وفي سرعة فائقة وقف مانيتون أمامه غاضبًا وصاح في وجهه: لا أريد قتلك، ولا أريدك أن تذهب إلى بوابة العالم السفلي. هناك ستموت على يد كربيروس وإن أفلت منه، لن تفلت من يد مينوتوروس حارس سجون العالم السفلي.

ثم مد يده إلى سوبيك وأقامه، ووقف سوبيك وعيونه يملأها الغضب وقال: اتركني أن أعبر البوابة، سأقاتل الجميع. فصديقي بأشد الحاجة إليّ من ينقذه من سجنه اللعين.

فتحرك مانيتون ببطء حاول سوبيك وقال له: إن ذهبت إلى هناك، فلن تعود.

فأجابه سوبيك سريعًا بصوت يملأه التحدي والحزم: يكفيني أنني حاولت إنقاذ صديقي القديم.

فصرخ مانيتون في وجهه: لا تبالِ بحياتك من أجل صديقك، ومن سينقذ تاسا من مرن وجيوشه الجرارة؟ منذ زمن ليس بالبعيد وأنا أنتظرك هنا، أنتظر من سيحرر تاسا؟ منذ حصار سنفرو للمدينة ولن يتجرأ أحد على مهاجمتها. انتظر هنا وكلي أمل أنك في يوم ما ستحررها. وأنت تريد أن تقضي على حياتك، الأمر ليس بهذه السهولة، فستجد هناك ما لا يخطر على عقلك أبدًا.

فصمت الاثنان قليلًا وبعد ذلك أجابه سوبيك: أعدك بإنني سوف أعود من أجل تحرير تاسا ومعي أنوبيس.

فضرب الذئب إحدى الأشجار من شدة غيظه وصاح بصوت مرتفع: إن كنت تريد أن تصل إلى البوابة، فلن أتركك تذهب وحيدًا سوف أذهب معك، وإن لم توافق أن أرافقك، فلن تعبرها.

وكانت كلمات الذئب جادة لا يشوبها أي نوع من المرح وعلى الفور أجابه سوبيك: ليس لدينا الكثير من الوقت يجب أن نذهب إلى أنوبيس سريعًا.

فانطلق الاثنان إلى الطريق المؤدي إلى البوابة. وأيقظ هذا الاتحاد قوة شر أخرى تنتظرهما في بحثهما عن بوابة العالم السفلي.

****

عماد، أين سنذهب الآن، ولماذا لم ننتظر سوبيك عند القصور؟ قالتها نجلاء وهي تنظر إلى عماد وكان الغضب يملأ وجهها.

فأجابها عماد بهدوء: منذ أن وصلنا إلى هنا ونحن نسير في دروب مجهولة لا أحد يعلم أين نتجه، ولكن كل ما نعرفه أننا لا بد أن نتقدم حتى إن تعثرنا قليلًا، فلن نيأس ولن نستسلم وسننهض كلما سقطنا ولن نترك مهمتنا إلا عندما نقلب عرش هذا الشيطان رأسًا على عقب ونقتله. إن أردتِ انتظار سوبيك، فعليكِ العودة إلى هناك حيث أخذنا الأسلحة.

ثم أدار ظهره وتحرك باتجاه الشمال وتبعه أيمن ومن خلفه نجلاء التي لم تستطع أن تتفوه بكلمة واحدة.

ولم يمضِ على تحركهم الكثير من الوقت حتى وجدوا بيوتًا صغيرة وكثيرة مصنوعة من الطين واللبن وبعض أجزائها مكسية بالحصير والبوص.

فاختبأ الثلاثة خلف الأشجار لكي يكتشفوا هل هناك أحد يعيش داخلها. ومضى بضعة ساعات وهم مختبئون خلف الأشجار فذهب عماد لكي يستكشف ما بداخلها وبقى أيمن ونجلاء يراقبان الوضع.

فبحث عماد داخل هذه المباني، فلم يجد شيئًا على الإطلاق، فأشار إليهما بأن يقتربا إليه، وحينما تقدم أيمن قليلًا انطلق سهم من الشرق وانغرس أمامه في إحدى الأشجار، فنظر الثلاثة إلى الشرق، فوجدوا شابًا لا يرتدي شيئًا سوى قراب سميك لستر عورته وفي يده قوس وبدأ بإطلاق السهام بكثرة عليهم، حتى اختبأ الثلاثة وأخرجوا أسلحتهم من جبعتهم.

ثم قال لهم هذا الشاب بصوت مرتفع: من أنتم، وماذا تريدون من مدينتي الصغيرة؟

فأجابه عماد وهو يشير إلى رفقائه بالصمت: قل لنا من أنت، وماذا تفعل هنا؟

فضحك الشاب وأجابه: أنا رع الصغير أعيش هنا منذ آلاف الأعوام، وإذًا من أنتم؟

فنظر الثلاثة إلى بعضهم في حيرة واندهاش وحال لسانهم يقول: كيف هذا وهو شاب صغير؟

فشهقت نجلاء بصوت مرتفع وقالت: آلاف الأعوام! ماذا نواجه هنا؟

فأجابها عماد: نحن جئنا إلى هنا لقتال مرن وليس هذا الصغير.

فأجابه أيمن: ولكن تذكر ما قاله لنا سوبيك، نقتل كل ما نراه حيًا داخل هذه المدينة.

فصمت الجميع قليلًا ثم قال لهم رع: اخرجوا وضعوا أسلحتكم ببطء على الأرض. فأنا ليس عدوًا لكم بل صديقًا، ليس لدي أي نية على الإطلاق لقتلكم.

فأجابه أيمن: لن نترك أسلحتنا، أنت من يجب عليه ترك سلاحه أولًا.

فضحك رع وقال: اهدأ يا صديقي، هناك دائمًا حل وسط، سيوافق عليه الجميع وإلا لن تنجوا من سهامي، سنترك أسلحتنا في نفس اللحظة.

فأجابه عماد وهو يشير إلى رفقائه بإلقاء أسلحتهم أرضًا: إذًا سنعد إلى ثلاثة وبعد ذلك سنترك أسلحتنا، وأنت معنا.

وعد عماد إلى ثلاثة وتركوا جميعهم الأسلحة، ثم خرج الثلاثة من مخبئهم واقترب رع إليهم كثيرًا وقال لهم: إن كنتم تريدون قتل مرن، سوف نتحد مع بعضنا وسنقتله معًا، وإن كنتم معه، سأنال منكم جميعًا.

وقال أيمن بحدة: ولماذا نثق بك؟

فأجابه رع الصغير: لأني أريد أن أرى هذا الشيطان وواجة يتقطعان إربًا إربًا أمامي وأتمنى أن أقتلهم بيدي، وغير ذلك ليس لديكم خيار غير أن نتحد مع بعضنا.

فسأله عماد بمكر ودهاء: ومن هي واجة؟

فأجابه رع وهو يقترب إليهم: إنها أخطر شيطانة على وجه الأرض قتلت أعدادًا كبيرة تفوق خيالك من سكان تاسا ولم يستطع أحد أن يوقفها باستثناء سنفرو فرعون مصر. بعد

أن قتلت عددًا كبيرًا من سكانها، بدأت في إحراق الغابات وقتل من فيها من أقزام. وبعد جهد كبير استطاع سنفرو أن يصنع لها فخًا وانقض عليها. وأخذها أسيرة في سجن داخل معبد بافومين. وحتى الآن لا يستطيع أحد تحريرها باستثناء من يسير دم سنفرو في عروقه.

فنظر إليه عماد وقال له: سنتحد معًا ضد هذا الشيطان اللعين.

فأجابه رع: سوف أرشدكم إلى طريق قصر مرن.

فقال له أيمن وهو ممسك سلاحه في يده: وما المقابل؟

فأجابه رع وهو ينظر إلى يد أيمن: سوف أقتل مرن بيدي، يجب أن أقتله.

فقال له عماد: أرشدنا إلى الطريق ولك ما تتمنى.

واتجه الأربعة نحو الشمال وهمس أيمن في أذني عماد قائلًا: لماذا جعلته ينضم إلينا؟ ألم تتذكر ما قاله سوبيك؟ اقتلوا كل ما هو يتحرك في الداخل.

فأجابه عماد وهو يتقدم الى الأمام: يبدو أن هذا الشاب ليس في قائمة القتل.

❋❋❋❋

أين تعسكر جيوش سنفرو والأقزام؟ قالها المشعوذ الأحمر "راسبتون" وهو يسرع في ارتداء ملابسه الحربية؟

فأجابه أحد قادته وهو ناصور: تعسكر خارج المدينة يا سيدي في قلب الجبال. وها قد ذهب سوبيك لكي يخرج أنوبيس من سجون العالم السفلي. وترك جيوشه في الخارج بدون قائد، وهذا هو الوقت المناسب للهجوم.

فابتسم راسبتون وقال له: سوبيك قائد ذو دهاء فذ وليس بهذا الغباء، لكي يضع جيوشه خارج المدينة بدون قائد شرس، دعنا لا نتسرع وانشر جواسيسك في الخارج وأخبرني بكل ما يحدث خطوة بخطوة.

فأجابه ناصور: مهما بلغت قواتهم، سننتصر عليهم، وسندمرهم إلى الأبد.

فانتهاره راسبتون وأشار إليه وقال: اصمت، لا تستهن بعدوك مهما كان ضعفه، ودعنا نفكر كيف سنحاربهم؟

ثم أعطى ظهره لناصور وأردف: حقًا بعد كل هذه الأعوام قد فسد دم سنفرو وأصبح عجوزًا للغاية، ولكن أتى من يحمل دمائه النقية وسنحرر بها واجة، وإن بقى على قيد الحياة، سيقود هذا الجيش الرابض خارج المدينة في الحرب.

ثم نظر إلى ناصور والابتسامة تعلو وجهه وقال له: اذهب وأعد الجيش وانشر جواسيسك كما أمرتك. واحشد الجيش عند قصر مرن العظيم وسوف أسبقك إلى هناك.

فنشر ناصور جواسيسه خارج المدينة، وأرسل إلى قادته وقال لهم: مع حلول الظلام، سنحشد الجيش عند قصر مرن. فاجتمع الجيش بأكمله أمام القصر وانتظروا أوامر راسبتون.

فأتت الجواسيس وأخبرت ناصور: بأن سوبيك قد ترك قيادة الجيش كما قلت، ووضع على قيادة الجيش الفرعون سنفرو.

وبذلك أخبر ناصور راسبتون بكل ما قالوه جواسيسه، فضحك راسبتون وقال: ألم أخبرك بأن سوبيك ليس بهذا الغباء أن يترك الجيش بدون قائد؟

ثم التفت راسبتون إلى الجواسيس وقال لهم: هل علمتم متى سيهجم سنفرو على المدينة؟

فأجابه أحدهم: ينتظر سوبيك ولكنه سيدافع عن جيوشه بشراسة، إن بادرنا بالهجوم عليه.

فضحك المشعوذ وقال: إذًا الوقت لدينا ليس بقصير، استعدوا سنهجم عليهم قريبًا.

ثم صرخ وقال إلى ناصور: استعد بالجيش قريبًا سنسحقهم.

****

في طريقنا إلى البوابة سنواجه وحوشًا ضارية، وإن كنت تعتقد أن ذهابنا إلى هناك سيكون مرحًا، فمرحبًا بك في الجحيم. قالها الذئب مانيتون وهو يشير بيده باتجاه قمة جبل عال يسمى جبل الموت.

فنظر سوبيك إلى قمة الجبل وقال: أخبرني بكل شيء تعرفه، ومن سنواجههم؟

فتوقف مانيتون عن السير ونظر في عيني سوبيك وقال له: لكي نصل إلى بوابة العالم السفلي، لابد أن نشق طريقنا داخل الغابة ونصل إلى قمة الجبل، ومن خلال عبورنا سنواجه ما لم تواجهه في حياتك. سنواجة فيكتور وكل ماصصي الدماء والمستأذبين.

فضحك سوبيك وقال باستهزاء: سنقاتل فيكتور وجيوشه، وهل تدعي أن هذه الحيوانات جيوش ضارية؟

فضحك مانيتون مدة قصيرة ثم توقف فجأة وصاح بحدة في وجه سوبيك: أنا لا أمزح معك، لماذا تستخف بعدوك هكذا؟ إن بقيت على استخفافك هذا، سنموت بطريقة مروعة. لا تنسَ أنني في يوم ما كنت ملك هؤلاء، وأعلم ما مدى قوتهم.

في الحال توقف سوبيك عن الضحك وقال له: لا أستخف بهم ولست بحاجة أن تخبرني أنهم أقوياء، ولكنني سأقضي عليهم بضربة واحدة. ولكني أرى في عينيك أشياء لم تبح بها من قبل، ما هي؟

فتنهد مانيتون وأسند ظهره على شجرة كبيرة وقال: عندما اندلعت الحرب في الزمن الغابر بين سنفرو ومرن. رأيت تفوق جيوش سنفرو والهزيمة آتية لا محالة. فحقنًا لدماء جيوشي التي تورطت في حرب ليس حربها، فكان يجب أن أوقف الحرب بأي ثمن، فأمرت قواتي بالانسحاب. فبعدما علم مرن الذي أراد استكمال الحرب إلى النهاية بما فعلته، أرسل قواته خلفي وقبضوا على كل من كان في طريقهم وقاموا بتكبيلي بالسلاسل. ولم يستكفِ مرن بذلك، بل ذبح بعضًا من قواتي أمام عيني. وقد استطاع البعض أن يهرب من قبضته. وما لم أستطع نسيانه حتى الآن هو قتل أفراد عائلتي أمام عيني. وبعد جريمته هذه استطعت الهرب بصعوبة بالغة بفضل بعض الذئاب الذين بقوا مع مرن.

فتأثر سوبيك كثيرًا بما قاله مانيتون وقال له: عندما يحين الوقت، ستنتقم منه للجميع.

فانفجرت الدموع من عين مانيتون وقال: وبعدما هربت سمعت أنه تحصن داخل المدينة، وأنها في يوم ما ستقتحمها قواتك. ومنذ زمن طويل أنتظر هنا أراقب المدينة، متجسدًا في رجل عجوز أنتظر لحظة هجومكم.

فوضع سوبيك يده على كتفي الذئب وقال: دعنا ننسى الماضي، وعندما يحين وقت الهجوم على المدينة، لك ما تتمنى، وأعدك أننا سنثور كالبركان وننتقم من مرن وواجة.

فتقدم الاثنان إلى داخل الغابة، وما أن تقدم الاثنان إلى عمق الغابة حيث الظلام الكاتم وحيث الأشجار المرتفعة ذات الأوراق الكبيرة التي تحجب أشعة الشمس، حاصرهم حشد كبير من المستأذبين ومصاصي الدماء بقيادة فيكتور.

فوقف الاثنان في منتصفهم والتصق ظهر سوبيك بظهر الذئب واستعدا للقتال وفجأة جاء صوت من خلف الأشجار التي تقع خلفهم مباشرة كصوت ذئاب كثيرة.

وما إلا لحظات قليلة، ظهرت ذئاب كثيرة من خلف الأشجار بقيادة النمر سيبيرو جاءت لمساندة حارس الغابة وانقضت على المستأذبين ومصاصي الدماء ودارت معركة طاحنة بينهم.

فقام مانيتون وسوبيك بالانقضاض على مصاصي الدماء والمستأذبين، واستمرت المعركة إلى أكثر من ساعة كاملة.

فلم ينسَ مانيتون أنه يحارب من كانوا في الماضي جنوده، فتوقف عن القتال حقنًا لدمائهم وصاح: فيكتور، إن كنت مقاتلًا شجاعًا، حاربني وجهًا لوجه ولا تستخدم قواتي ضدي.

فضحك فيكتور وأشار إلى قواته بالتوقف عن القتال وقال: الآن قد حانت لحظة موتك يا من خان أسياده.

فانقض الاثنان على بعضهما وأمسك مانيتون رقبة فيكتور وكاد أن يلتهمها، ولكن فيكتور استطاع أن يفلت من ضربته وتراجع قليلًا إلى الخلف وأخرج فيكتور سيفه من غمده، ونظر مانيتون إلى فيكتور وانقض عليه بأسنانه الحادة بدون خوف من سيفه ذات الفضة اللامعة وفي ضربة سريعة، قام فيكتور بوضع السيف بين أسنان الذئب فابتعد الذئب سريعًا إلى الوراء متألمًا لأن الفضة تسببت في آلام مبرحة في جسده.

فعاود مانيتون الهجوم مرة أخرى، لكنه هذه المرة تلقى ضربة في ذراعه بالسيف وسالت بعض الدماء الخضراء القليلة على الأرض، فضحك مانيتون وقال: لم أتوقع أنك بهذه القوة يا صديقي القديم.

وفي غفلة من فيكتور انقض مانيتون عليه وأمسك يده وغرز أسنانه الحادة داخل رقبته ولم يتركه إلا وهو جثة هامدة لا حراك لها.

فانقض النمر سيبيرو والذئاب التابعة لحارس الغابة على المستأذبين ومصاصي الدماء حتى أرادوهم قاتلة وبعضهم استطاع الهرب إلى مدينة تاسا متجاوزي أسوارها الغربية، لكي تنضم إلى قوات مرن وراسبتون. وأما سيبيرو والذئاب التابعة لمانيتون، دخلت هي أيضًا المدينة لكي تساعد حلفاء سوبيك في الداخل. وبينما تابع الذئب وسوبيك سيرهما إلى بوابة العالم السفلي، ومن خلفهما فيكتور غارقًا في دمائه.

❋❋❋❋

وعندما ابتعدا عن مساكن تاسا، كان الظلام يسيطر على كل شيء أمامهم، ولا أحد يرى ما حوله. وتقدموا ببطء شديد إلى أن وجدوا أنفسهم أمام صحراء شاسعة يسودها الظلام التام، فصرخت نجلاء وهي ترتعش من الرعب: ما هذا الظلام الرهيب، فأنا لم أعتد هذا الظلام.

فأجابها رع والابتسامة تعلو وجهه: لا تخافي، فكلما بقيتِ داخل هذا الظلام، رأيتِ كل شيء على حقيقته.

فاجابته نجلاء: ماذا تقصد؟

فقال لها رع: لا أقصد شيئًا، ولكن لا تقلقي خلال ثوان معدودة من دخولنا الصحراء ستعتاد عينيكِ هذا الظلام وسترين كل شيء.

فتقدم الأربعة إلى داخل الصحراء ولم يكن معهم شيء يضيء لهم في الطريق، فارتعبت نجلاء ونظرت إلى الصحراء الشاسعة وهي لا ترى شيئًا. فلم يمضِ وقت كثير إلا وقد اعتادت عيناها هذا الظلام كما أخبرها رع.

فبدأت الصحراء تظهر لهم شيئًا فشيئًا أمامهم. وما كانت إلا صحراء شاسعة ذات رمال سوداء ولا تصل إليها الشمس أبدًا. فقالت نجلاء بصوت منخفض: لماذا لا تشرق الشمس هنا؟

فأجابها رع: يقولون إن في هذا المكان قامت واجة بقتل سكان مدينة تاسا. في الماضي البعيد كانت هذه المنطقة لم تكن صحراء قط. ولكنها كانت ممتلئة بالأشجار والعشب الأخضر

الكثيف، وكانت كالجنة يتمنى الجميع أن يعيش فيها. ولكن بعد ما قامت واجة بقتل الجميع، أصيبت هذه المنطقة باللعنة وأصبحت كما هي الآن.

فقال عماد وهو ينظر إلى رع: هذه الصحراء فارغة كالفضاء وليس هناك أي شيء بها سواء الظلام وهذا لا يبشر بخير.

فضحك رع وقال: هذه الصحراء ممتلئة بأقوى الوحوش الضارية.

وعندما أنهى رع كلامه، ظهر الفزع على وجه الجميع وأردف حديثه: لا تقلقوا سأصل بكم إلى نهر الدم سالمين، فقد اتبعوا ما أقول وإلا أيقظنا الوحش الرابط في طريقنا.

فأشار لهم رع بأن يتحركوا باتجاه شرق صحراء الظلام، فتقدم عماد ونجلاء أولًا فقال عماد إلى نجلاء: هذه الصحراء تذكرني بحلم عن أخي.

فأجابته نجلاء: هناك حلقة وصل قوية جدًا بين ما يحدث الآن ومقتل أخيك.

فأجابها عماد وهو ينظر خلسة إلى رع: دعي الوقت يكشف كل شيء.

وكان يقف أيمن خلفهم يرمق رع بنظارات ممتلئة بالحقد والكراهية، وأما رع فنظر إليه والابتسامة تعلو وجهه وقال له: لماذا لا تريد أن تسير معهم وتقف هكذا؟

فتقدم أيمن باتجاه رع وازدادت حدة نظراته إليه وقال: لا أثق بك وإن كنت تخدعني، فسأقتلك بيدي.

فابتسم رع وأشار إليه بأن يتقدم ويسير مع عماد ونجلاء.

❋❋❋❋

غرفة كبيرة مفعمة بالظلام الدامس وغبار أحمر كالنار وهواء خانق يملأ المكان ولا ترى شيئًا حواليك. وفي داخل هذا السواد يجلس مرن في نهاية الغرفة على عرشه الجبار.

ويطرق الباب الخارجي أحد حارسه وينحني له بإجلال عظيم ويقول: يا سيدي، أحد حراسك الشخصين يريد أن يقابلك.

فأمره مرن أن يفتح له الباب، فدخل حارسه الشخصي واقترب إليه حارسه وانحنى أمامه بإجلال عظيم وقال له: يا سيدي هناك بعض الأخبار السيئة.

وفي عدم مبالاة من مرن يشير إلى حارسه بإكمال حديثه. ثم أردف حارسه وهو يرتجف من الخوف: اتحد حارس الغابة مانيتون وسوبيك واستطاعا قتل فيكتور والكثير ممن كانوا معه.

وهنا اعتدل مرن في جلوسه وانتبه إلى حديث الحارس الذي قال: أما من بقوا على قيد الحياة، فجاءوا إلى هنا للانضمام إلى قواتنا.

فنهض مرن وأمسك رقبة الحارس وصرخ بصوت غليظ: ألم يمت هذا الذئب بعد؟

ثم رمى الحارس على الأرض بكلتا يده وقال له: هل استطاعا هزيمة حارس بوابة العالم السفلي كربيروس؟

فأجابه الحارس وهو يتعرق عرقًا غزيرًا من الخوف: لا يا سيدي، لم يصلا بعد إلى بوابة العالم السفلي؛ لأنهما يسيران بتحفظ وببطء شديد.

فحدق مرن في عين حارسه وقال: أرسل بعض المردة الأقوياء لمساعدة كربيروس.

فانحنى حارسه الشخصي بإجلال عظيم وقال: سأرسل أقوى المردة للقضاء عليهما. وبعد أن قال هذا انصرف من أمام مرن.

بضعة طرقات خفيفة قادمة من خلف العرش، تلفت انتباه مرن فينظر إلى الخلف ليجد زوجته وهي في أبهى جمالها وتزين رأسها بالكثير من الأفاعي والثعابين المتوحشة تقترب إليه ثم تتوقف لتنحني أمامه.

ومن خارج قاعة العرش يقف حارسان من الماردة على الباب يتهامسان فقال أحدهما للآخر: حتى الملكة تنحني لمرن.

فأجابه الآخر وقال له: في هذه المملكة لا انحناء سوى لمرن، وقريبًا سينحني الجميع أمام ست سيد العالم.

وفي الداخل نهض مرن من فوق عرشه واقترب من زوجته وقال لها: انهضي وأخبريني ما الأمر؟

فقالت له: أراك مغتم الوجه يا سيدي.

فتراجع إلى الوراء وجلس على العرش ووضع يده على وجهه ثم ضرب طرف العرش بيده الاثنين بقوة وقال: سوبيك والذئب مانيتون اتحدا، وهذا ليس ما يزعجني بالطبع، ما يزعجني أنهما قتلا فيكتور والكثير من قواته. وهكذا تقدموا نحو بوابة العالم السفلي، ولا أحد يعلم من أي طريق سلكوا، وليس هناك من يستطيع إيقافهما سوى كربيروس، وقد أرسلت إليه بعض المردة لمساعدته.

فنظرت إليه عشتروث وانفجرت ضحكاتها عالية حتى استفزت مرن وصرخ في وجهها: لماذا لا تبالي بكل ما حدث وتضحكين هكذا؟

فلم تبالِ بغضبه وصراخه بل اقتربت إليه أكثر، وأمسكت يده بحنان حتى ارتخت يده وكف عن الصراخ فقالت له: وهل هذا الأمر البسيط يزعج سيدي؟

ثم تركت يده وقالت بصوت غليظ وحاد: أعدك اليوم ستنتهي أسطورة مانيتون وسوبيك. ثم تركته وخرجت لتعد قوتها لمواجهتهما.

وبعد قليل دخل إليه أحد قادة الشياطين الكبار وانحنى أمامه وقال مبتسمًا: يا سيدي، نتتبع خطواتهم منذ قتلهم لفارس الظلام ومن معه وهم الآن قد سلكوا الطريق الأقرب إلى موتهم، قد سلكوا طريق جبال ساتان، فهو هناك ينتظرهم. وقد أرسلت بعض الشياطين لقبض عليهم.

فتعالت ضحكات مرن والشيطان، ثم نهض مرن من فوق عرشه وقال: احترس لا أريد أخطاء أرسلهم إلى هنا أحياء.

❋❋❋❋

طريق ضيق بعض الشيء لا يستوعب عددهم، تعلو من الجانبين الصخور الشاهقة، ومن أسفلهم ليس هناك سوى الرمال الممتلئة بالثعابين والعقارب السامة والكثير من الحشرات التي تعيش داخل الرمال.

وما كان يقلق نجلاء أكثر من الآخرين هو الظلام المسيطر على كل شيء حولها. ومنذ ما أن وقعت عيونهم على صحراء الظلام، وليس هناك سوى الظلام العظيم يحدق بهم من كل جانب.

اقترب عماد إليها وقال لها: أما زال الظلام يخيفكِ؟

فأجابته وهي تستنشق الهواء الممتلئ بحصوات الرمال: وهل تعتقد أن من يستنشق هواء ممتلئ بالرمال يخشى الظلام وحده؟

فابتسم وقال لها: أعدك بأننا سنخرج جميعًا سالمين من هنا. وضمها إلى حضنه.

وهنا أشار إليهم رع بيده بأن يلتزمان الصمت قليلًا وهمس إليهما بصوت منخفض: لا تحدثا ضجة هائلة بأصواتكما هذه، فهناك وحش يجب علينا ألا نيقظه من نومه، وإن استيقظ من أصواتكما هذه، فهكذا جلبنا على أنفسنا الموت. فقط دعونا نخرج من هذا الطريق ونعبر نهر الدماء بسلام.

فنظر إليه الجميع ولم يتجرأ أحد منهم على فتح فمه، ولكن نظرات أيمن له كانت حادة للغاية ممتلئة بالشك والحيرة.

ثم أردف رع: يجب علينا أن نعبر نهر الدم بدون إيقاظ الشيطان ساتان، ولكن إن استيقظ، فأؤكد لكم: سترون جميع المردة والشاطين وكل أتباع الجان يزحفون إليكم من كل مكان. ولا مفر منهم إلا وأنتم جثث متراكمة فوق بعضكم البعض.

فتحرك الجميع إلى أن شعروا بالتعب فقال أيمن: فأنا متعب للغاية أليس بإمكاننا الجلوس قليلًا لاستراحة أجسادنا؟

فوقف رع وقال لهم: استريحوا هنا قليلًا ولكن احذروا من أن تفعلوا أي شيء يجلب الموت علينا.

فصعد كل واحد منهم على إحدى الصخور المتناثرة على جانبي الطريق واستراحوا لنصف ساعة ثم أيقظهم رع وقال لهم: انهضوا في هدوء، فيجب علينا أن نخرج من هذا الطريق بسرعة.

وفيمَ ينزلون من فوق الصخور اصطدمت رجل نجلاء بإحدى الصخور وسقطت هذه الصخرة وأحدثت جلبة عظيمة. فنظر إليها رع وهو محدق العينين وشاحب الوجه، ونظر الجميع إلى بعضهم في خوف وترقب كمن رأوا الجحيم على الأرض.

ثم ساد الهدوء قليلًا من الوقت حتى أطمئن الجميع وبعد ذلك حدثت زلزلة عظيمة، وعلى أثر الزلزلة صرخ رع: اهربوا استيقظ ساتان وأتى جيش الشياطين انجوا بحياتكم.

كانوا يجرون بكل قوتهم لنجاة أنفسهم من ساتان الذين لم يروه بعد. ولكن ما جعل الخوف يدب في قلوبهم هو رع نفسه الذي أسرع معهم في هلع كبير. واستطاعوا أن ينطلقوا بعيدًا حتى وجدوا أنفسهم أمام قطع في وسط الجبل يمر أسفله نهر الدم.

فوقف الجميع ينظرون إلى بعضهم عاجزين عن فعل شيء فجاء من خلفهم رع وهو مسرع وقال لهم وهو يشير إلى جانبي الجبل: لماذا توقفتم؟ تسلقوا هذه الصخور ليس هناك المزيد من الوقت، فهم خلفنا.

وقبل أن يمروا فوق النهر بواسطة الصخور العالية، سمع عماد هتافات عظيمة قادمة من صحراء الظلام طنت آذانه: مرن مرن مرن، مرن مرن مرن.

فبدأ عماد بالتسلق وهو لا يبالي بما يسمعه، ولكنه كان يتذكر أحداث الحلم الذي رأى فيه أخاه وائل.

وبعد أن عبروا نظر إلى خلفه وجد وائل يقف على حافة القطع وينظر إليه نظارات الاشتياق واللوم ثم صرخ وائل إليه: ألم أحذرك بالقدوم إلى هنا؟ لماذا أتيت؟ فالآن ستواجه أعظم آلهة الشر شراسة. وبعد ما أنهى وائل كلامه سقط في نهر الدم.

فصرخ عماد مناديًا على أخيه الوحيد: وائل، وائل.

واتجه مسرعًا إلى القطع إلا أن أمسكه رع وقال له: ماذا رأيت لكي تسرع إلى القطع، لماذا تريد العودة؟

فأجابه عماد والدموع تسري على وجهه: إنه أخي وائل.

فقال له رع وهو يمسكه ويشده مبتعدًا عن القطع: إنه ليس وائل أخاك، بل شيطانًا يريدك أن تلقي نفسك في النهر لكي تنقذ أخاك، لكنه بالحقيقة يريد موتك وتقليص عددنا لسهولة التخلص منا واحدًا تلو الآخر.

بأجابه عماد غاضبًا وهو يحاول الإفلات منه: اتركني إنه أخي يجب أن أنقذه إنه يحتاجني.

فتدخل أيمن وأمسك عماد، لكنه كان يحاول الإفلات منهم وقال له رع: اسمع جيدًا ليس هناك مجال للعواطف والمشاعر الجياشة، هنا تكون أو لا تكون. إنهم يخدعونك إن كنت تريد أن تلحق بأخيك، فاذهب إليه واترك مرن يقتل غيره وغيره.

فعندما سمع عماد ما قاله رع، هدأ قليلًا وقال له: أعدك لن يقتل مرن سوى أنا.

ثم صرخ رع بصوت مرتفع: اهربوا ولا تنظروا خلفكم، فإن النظر إلى الخلف يُبطئ من سرعتكم.

فأسرع الجميع إلى الأمام وصاروا في هذا الطريق حتى انجرف بهم شيئًا فشيئًا إلى الأسفل حتى وجدوا أنفسهم فى قلب الصحراء السوداء.

وكان في الأسفل ينتظرهم بعض الشياطين الأقوياء. فوقف الأربعة مع بعضهم متخذي شكل دائرة صغيرة حتى يتثنى لهم الدفاع عن بعضهم البعض، وقد أشهر الأربعة أسلحتهم في وجه الشياطين.

فضحكت الشياطين بصوت عالٍ ومستفز للأذن المصغية حتى وضعت نجلاء يدها على أذنيها.

وفي لمحة صغيرة من الزمن ظهر خلف الشياطين شيطان كبير لديه رأس ثور ويملك قرنين صغيرين لونهما يميل إلى الأحمر وجسده كجسد ضبع ضخم، يُدعى ساتان.

❋❋❋❋

قد بحثنا عنهم في كل مكان يا سيدي ولم نجدهم، بل وجدنا فارس الظلام والخنزير والقط الأسود مقتولين هناك، ثم بحثنا عنهم في مساكن سكان المدينة ولم نجدهم أيضًا.

ثم التفت النمر سيبيرو قائد المجموعة التي دخلت إلى المدينة لمساعدة عماد ناظرًا في كل الاتجاهات ومشبكًا أصابعه في بعضهم وهو يقول: أخشى أن يكون رع عثر عليهم قبلنا.

فأجابه سباركس حارسه: ربما هذا ما يكون قد حدث بالفعل، والآن ماذا سنفعل يا سيدي؟

فتنهد سيبيرو في بطء شديد وعض شفتيه بأسنانه من الغيظ الذي تملك منه وقال: ليس لدينا خيار آخر سوى الذهاب خلفهم.

فأجابه سباركس: ولكننا يا سيدي لا نعلم أين هم الآن؟

فضحك سيبيرو وقال له: لا بل تعلم، فهم لن يسلكوا الصحراء السوداء أبدًا، بل سيمروا داخل جبال ساتان. كم عددنا الآن؟

فأجابه سباركس وهو يلتفت إلى الذئاب الذين معه: نحن اثنان وعشرون ذئبًا.

فقال له سيبيرو على الفور: إذًا نحن ثلاثة وعشرون، لماذا لم تحسبني معكم؟ القائد يجب أن يكون في المقدمة دائمًا وليس في الخلف. والآن كل دقيقة تمر علينا بدون أن نتحرك ليست في صالحنا.

فقال له سباركس: وأي طريق سنسلك يا سيدي؟

فأجابه سيبيرو وهو يشير إلى الصحراء السوداء: سنسلك هذا الطريق.

فاحمر وجه سباركس وقال له: ولكن يا سيدي أنت تعلم أن المرور في الصحراء سوف يكلفنا الكثير.

فابتسم سيبيرو وقال له: يا صديقي، نحن أموات منذ زمن بعيد أم أنك نسيت ما فعلوا؟

فاتجهت أنظار سباركس إلى الأرض ولم يتحدث معه حتى لو بكلمة واحدة.

فرتب سيبيرو يده على كتفه وقال: لا تحزن سننتقم من مرن وواجة، ولكن يجب علينا أولًا إنقاذ هؤلاء البشر، فقط ثق في.

فنهضوا وانطلقوا داخل الصحراء السوداء وما أن تعمقوا بداخلها ارتفعت الهتافات مرة أخرى واشتد الصراخ: مرن مرن مرن.

فقال سباركس: يا سيدي، هل تسمع هذه الأصوات؟

فأجابه سيبيرو: أسرع ولا تلتفت إلى الخلف مهما سمعت. ولا أحد منكم ينظر إلى الوراء، بل انطلقوا بكل قوتكم إلى الأمام.

بعد الكثير من الوقت وهم منطلقون كالأحصنة الجامحة، خرج عليهم من أسفل الرمال وحوش ضارية تُدعى الجعران، وأجسادها ضخمة للغاية.

فتوقفوا في أماكنهم ثم بادر سيبيرو بالهجوم عليهم ثم تابعه من معه فدارت معركة بينهم وبين الجعران، وكاد الذئاب أن يتفوقوا عليهم إلا أن تزايدت أعداد الجعران بشكل مفاجئ وفتكوا بمعظم الذئاب.

إلا أن قال سيبيرو لسباركس: اذهب أنت وخذ من تبقى معك من الذئاب، وسوف أعيقهم حتى تهربوا.

فصرخ سباركس وكل قطعة في جسده تتألم من أجل النمر سيبيرو الذي سيضحي بحياته من أجله: لن اتركك كما مرينا بأسوأ الأحوال معًا، فهكذا سنموت معًا.

فأجابه سيبيرو: اذهب وخذ الخمسة المتابقين وانقذ هؤلاء البشر.

فانهمرت الدموع من عين سباركس ثم انحنى له والتف إلى الخمسة المتباقين وانطلقوا في أعماق الصحراء السوداء.

أما سيبيرو فرفع سيفه وانطلق نحو الجعران، فقد نزل أسفل الأول وغمد سيفه داخل بطنه وقطع رجل الثاني، فطعنه الجعران الثالث بسن رجله السام في كتفه فتدارك سيبيرو الأمر سريعًا فقطع رجل الجعران ثم وقع في مكانه ميتًا من أثر السم الذي ملأ جسده.

وأثناء قتال سيبيرو ووحوش الجعران استطاع سباركس أن يهرب هو والخمسة الباقين.

❊❊❊❊

وقف من خلف الشياطين بوجه الكاتم ذات اللون الأحمر وقرونه الملتوية إلى الأسفل وهيئته العضلية الجبارة وصاح ساتان بصوته الفذ: حانت أمامي لحظة نهايتكم. ثم نظر إليهم بحقد وكراهية لم يروا مثلها طيال حياتهم، وضحك كل حراسه من الشياطين.

وتأهب الأربعة للقتال وحملوا أسلحتهم في يدهم فقالت نجلاء إلى الباقين: كيف سنواجه هذا العدد الهائل من هؤلاء الوحوش؟

فضحك رع وقال لها: لا تحتاجي أن تواجهيهم.

ثم وضع سيفه على رقبتها وأردف حديثه: لن تواجهي أحدًا أيتها الجميلة الحسناء، بل جميعكم ستلقون أسلحتكم على الأرض وتسلموا أنفسكم لنا بدون قتال، من حسن حظكم مرن يريدكم أحياء. فازداد في ابتسامته الماكرة.

والتف عماد حوله فوجدهم أكثر منهم بكثير وليس لهم قوة لمواجهة هؤلاء، فنظر إلى نجلاء وأيمن وأشار لهما بعينه بأن يلقوا أسلحتهم.

وبعد أن ألقوا أسلحتهم أرضًا صرخ رع وقال لهم: أنتم الآن في حضرة أعظم الشياطين قوة وهيبة، الشيطان العظيم ساتان وكل من داخل الصحراء يركع له.

وكان الثلاثة ينظرون إليه غير مصدقين ما رأيته أعينهم فقال أيمن لهم: ألم أقل لكما من البداية كان علينا أن نصغي لما قاله سوبيك ونقتل هذا الحقير.

فصرخ رع مرة أخرى: اركعوا.

ومن خلفهم جاء صوت ساتان: اهدأ يا رع، فنحن نريدهم أحياء لا تجلب علينا غضب مرن.

فصرخ عماد في وجهه: لن نركع لهذا الشيطان بل سنقاتلكم.

فتأهب الثلاثة للقتال ولكن الكثرة دائمًا ما تتغلب على الشجاعة، فقبض عليهم ساتان ورع وانطلقوا بهم إلى قلعة الجان.

وأما سباركس ومن معه ذهبوا إلى نهر الدم يفتشوا عنهم ولم يجدوا أحدًا، فاستطاع سباركس تحديد مكانهم بواسطة حاسة الشم القوية التي يمتلكها الذئاب. وأشار إلى الصخور المرتفعة التي تؤدي إلى الطريق الذي سلكوا به داخل جبال ساتان وقال لهم: سنتسلق هذه الصخور معًا وسنمر من خلالها فوق هذا النهر.

ففعلوا كما أمرهم سباركس حتى وصلوا إلى الطريق المؤدي إلى الصحراء فوقف سباركس قليلًا وقال لهم: إنهم كانوا هنا، ولكن أين هم الآن؟

فأجابه أحد الذين معه: لا نعلم يا سيدي، فالظلام هنا يخفي كل شيء.

فقال سباركس وهو ينظر إلى آثار أقدامهم: سنتبع آثار أقدامهم حتى نصل إليهم.

وتتبعوا آثارهم حتى وصلوا إلى قلعة الجان ووقفوا يراقبون ما يدور في الداخل من بعيد.

❋❋❋❋

من أرسلكم إلى هنا، ولماذا أتيتم؟

فركع الجميع أمامه وقال أحدهم: قد أرسلنا سيدنا مرن لمساعدتك ضد سوبيك والذئب مانيتون.

فظهرت ملامح التعجب والحيرة على وجه كربيروس ثم تناثرت الأفكار داخل رأسه ما بين قدوم سوبيك الذي يود أن يقتله ثم يقتل مرن، والذئب الذي ينتظر اللحظة المناسبة لتحرير أنوبيس لكي يخبره بما فعلته في الزمن الغابر، يا لها من موقف خطير صديق الأمس عدو اليوم.

ولكن بدت له هذه الأفكار بالسخيفة، لأنه يعلم حتى إن تحالف هذا الثنائي مع بعضهما، لن يكونوا ندًا له وقال لهم: لا أعلم من من ستساعدوني، ولكن ما السبب الذي جعل مرن يرسلكم إلى هنا وهو يعلم بمدى قوتي؟

فأجابه أحدهم: قد أرسلنا مرن لمساعدتك لأن هذا الثنائي أصبح خطيرًا للغاية.

فضحك كربيروس وقال لهم: هل جن مرن لكي يرسلكم إلى هنا؟ أم ما زال يجهل قوتي؟

ثم تعالت ضحكاته واستمر يضحك قليلًا من الوقت حتى أوقفه عن الضحك أحد المردة قائلًا: لا تكن مغرورًا فقد ازدادت قوة سوبيك ومانيتون حتى استطاعا قتل فيكتور والكثير ممن كانوا معه.

فلم يستطع كربيروس إخفاء تعجبه وغضبه فقال لهم: إذًا استراحوا واستعدوا للمعركة.

ثم تابع ابتسامته ولكن ما زالت علامات الغضب والحيرة تسيطر عليه وهو يتجه إلى بوابة العالم السفلي لكي يستريح نظر إلى الأشجار، فوجدها تهتز من مكانها فتفحص من هو قادم. فخرجت بعض الأفاعي الكبيرة من خلف الأشجار قادمة إليه وقالت إحداهم: قد أرسلتنا عشتروث للقضاء على سوبيك ومانيتون حارس الغابة الخائن.

فضحك فينوس وقال: يرسلون إلى هنا أشد قواتهم لمساعدتي وقد تجاهلوا أن باستطاعتي قتلهم جميعًا بضربة واحدة من ذيلي.

يجب علينا ألا نصدر أي صوت الآن، من المحتمل أن يكون كربيروس علم بمقتل فيكتور، وهو الآن يستعد لنا بكل قوته. قالها مانيتون وهو يحاول أن يكتشف المكان أمامه.

فأجابه سوبيك: لا تقلق لن أصدر صوتًا، ولكن احترس أنت ألا تُصدر صوتًا.

فقال له مانيتون: أنت تعلم مدى قوة كربيروس ولا تتجاهلها.

فأجابه سوبيك: حقًا إنه شديد البأس وصعب المراس ولكنه ليس في قوة اتحادنا.

فقال مانيتون وهو يزيح أوراق الأشجار العملاقة من أمامه: نحن قد اقتربنا كثيرًا، ولكنني أشم رائحة غريبة ولا يمكن أن أخطئ.

فقال له سوبيك وهو يسير وراءه: وما الرائحة الغريبة التي تشمها؟

فأجابه مانيتون: فهناك رائحة أفاعي، ولكنني أتجاهل من أين تأتي هذه الرائحة؟ أيضًا هناك رائحة مردة منتشرة بشدة في المكان.

فتساءل سوبيك: هل تقصد أننا اقتربنا من بوابة العالم السفلي، ولن نواجه كربيروس وحيدًا بل هناك أفاعي ومردة ستساعده.

فضحك مانيتون وقال له: يعجبني ذكاؤك، فلن نواجه كربيروس وحيدًا. بل هؤلاء سوف يساعدونه وبخلاف هؤلاء هناك عدو يتربص بنا ولن يظهر إلا ونحن نقاتل كربيروس.

فقال له سوبيك بلهفة كبيرة: ومن هذا العدو؟ فانخفض الذئب وأخذ معه سوبيك وأشار بيده إلى نهاية الأشجار وقال له: هذه هي بوابة العالم السفلي.

❋❋❋❋

الكثير والكثير من قلاع الجان الضخمة المتزينة برؤوس الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور والتماسيح لكي تجلب لهم حب إله الشر ست وشيطان الجحيم مرن.

يقف سباركس خارجًا يراقب ما يحدث في الداخل، وأمامه بوابة قلاع الجان الضخمة، ويقف أمامها حارسان من الجان طوال القامة أقوياء البنية عيونهم حمراء لا يلبسان شيئًا

سوى ما يغطي عورتها. وفي أيدهما رماح ثلاثية وهناك الكثير منهم يراقبون الأسوار العالية المحيطة بقلاع الجان العملاقة.

وقف سباركس يفكر كيف يقتحم هذه القلاع، وكيف يخلص الثلاثة منها. وهو ليس معه سوى خمسة ذئاب. وبعد قليل رأى سباركس الشيطان ساتان ورع ومن خلفهم بعض الشياطين يمرون أمام البوابة وخلفهم الثلاثة مكبلين بسلاسل حديدية.

أراد أن يهجم عليهم في هذه اللحظة، ولكنه اتبع عقله وبدأ أن يفكر في طريقة مختلفة لكي يدخل إلى داخل القلعة.

وبعد وقت ليس بقليل قال سباركس للذئاب الذين معه: سوف انطلق نحو السور وعند إشارتي تحركوا بحذر نحوي.

فتقدم سباركس ببطء وحذر نحو السور وأختبأ عدة مرات حتى وصل إلى السور ثم انقض على أحد الحراس وقتله من الخلف. وبدأ يقتل واحدًا تلو الآخر، وبعد أن أجهز على الكثير من الحراس أشار إلى الباقين بالتقدم نحوه بحذر، ثم تسلقوا السور واختبأوا في الداخل حتى ظهر من بعيد ساتان يجلس على عرش صغير ومعه رع. وكان هناك بعض الشياطين والجان حولهم.

كان يدور بينهم حديث صغير عن الثلاثة المكبلين داخل السجن وقال ساتان وهو يضحك: سيتعرفون على بعضهم في الأسفل. فتعالت ضحكات الجميع.

فضحك رع وقال: سيزدادون رعبًا وخوفًا، عندما يروا من في الأسفل.

ومن خلف الأشجار يقف سباركس متعجبًا مما يسمع وهمس: ترى على من يتحدثون إنه في الأسفل، وأين هم الآن؟

وقال للذئاب الذين معه: سنقف هنا لحين معرفتنا أين هم؟ وإياكم أن يصدر أحد منكم صوتًا وإلا متنا كلنا.

ثم تابع حديثهم فقال أحد قادة الجان الوقفين أمام ساتان: أين ستأخذهم؟

فأجابه ساتان: إلى معبد بافومين.

فقال له قائد الجان: ومتى سيحدث ذلك؟

فأجابه ساتان وهو غاضب: قد كثرت أسئلتكم اليوم، منذ متى وأنتم تتدخلون فيمَ لا يعنيكم؟ كفوا عن طرح المزيد من الأسئلة. ولكنني سأجيبكم هذه المرة على كل ما تريدونه.

وأمال ظهره للخلف وقال: جميع جيوش الجان ستذهب إلى راسبتون لكي تنضم إليه وتسانده في الحرب.

ثم نظر إلى رع وقال له: أما أنت يا رع ستبقى معي أنت وهؤلاء الشياطين.

وبعد ذلك وقف الجميع وانحنوا له وقال قائد الجان: أمرك يا سيدي ولكنني أود أن أضع بعضا من قواتي هنا لمساعدتك.

فأجابه ساتان وهو لا يبالي بما سمعه: افعل ما شئت ولكن تحرك واذهب إلى راسبتون.

فانحنت له قوات الجان ورحلوا بعد أن تركوا له بعضًا من قواتهم، وبعدما رحلوا أمر ساتان رع بإحضار الثلاثة لكي يذهبوا بهم إلى غابات سيبرا ثم إلى معبد بافومين.

❋❋❋❋

فجحظ بعيونه نحو بوابة العالم السفلي وهو غير مصدق شدة جمالها، فوجه سوبيك كلامه إلى مانيتون وقال: لم أعتقد أنها بكم هذا الجمال، تبدو أنها تحفة ساقطة من السماء.

فضحك مانيتون وقال له: دائمًا ما يصنع ملك الظلام مرن طريقة جميلة يجذب بها الجميع إلى هنا، الكثير من الأقوياء أتوا إلى هنا، ولم يعد منهم أحد. العالم السفلي متزين بكل ما هو جميل من الخارج، أما من الداخل فهو نار تلتهم الجميع ولا تنطفئ أبدًا.

فصمت سوبيك قليلًا وقد فهم ما يود أن يخبره به مانيتون وقال له: نعم يخدع الجميع بجمال الأشياء الفانية ولكننا سنتخلص منه قريبًا، وسيعود النور من جديد إلى مدينة تاسا العظيمة.

فابتسم مانيتون وقال: خسرنا كل شيء يبقنا على قيد حياة مرحة وسعيدة وذهبنا وراء مرن، وفي نهاية الأمر ذبح قواتي وعائلتي انتقامًا لما فعلته. وكل هذا وأنا أقف عاجزًا عن فعل شيء. كل ما حدث، حدث لأنني أردت حقن دماء جنودي.

فقال له سوبيك: الماضي قد ذهب بكل جراحه وأحزانه وقسوته، وكل ما علينا الآن هو قتال هؤلاء الوحوش. أخبرني من العدو الذي أخبرتني عنه؟

فأجابه مانيتون والدموع كادت أن تنجرف كأمواج البحر المندفع من عينيه فقد غاص بذكرياته لزمن كاد أن يكون بعيدًا فقد كان عاجزًا عن الدفاع عن رجاله وأسرته: قد قلت لك إن هذا العدو سيظهر بينما نحن نقاتل، لأنه هكذا دائمًا جبان لا يظهر في أي قتال إلا متأخرًا والآن اسمعني جيدًا.

فاقترب إليه سوبيك وهمس مانيتون: الآن سأخرج وسأشتبك مع كربيروس ومن معه، وأنت التف من خلفهم واذهب إلى الداخل وحرر أنوبيس. ولكن لا تتأخر لأن هذا القتال ليس ضد وحوش ضعيفة مثل فيكتور بل ستكون ضد حارس بوابة العالم السفلي أقوى قوات الشر على وجه البسيطة.

وأثناء حديث مانيتون تذكر سوبيك النمر الذي حارب معهما ضد فيكتور وجنوده وقال: أثناء قتالنا ضد فيكتور ظهر نمر ضخم أراه للمرة الأولى وقاتل معنا فمن هذا النمر الضخم؟

فأجابه مانيتون وهو مغتم الوجه وقال: إنه سيبيرو ملك ملوك مملكة النمور، أجبره مرن على خوض القتال ضد سنفرو. خيره بين تدمير مملكته وقتل شعبه وبين الحرب معه. فاختار الانضمام إليه من أجل أن يحمي شعبه ولكنه في نهاية الأمر أحرق مرن كل مملكته وقتل شعبه. فهرب سيبيرو وانضم إلى قواتي.

فضرب سوبيك شجرة بجواره بكلتا يده قال: هذا الشيطان لن يرحم أحدًا.

ثم تركه مانيتون وتعمق سوبيك داخل الأشجار ملتفًا حول الجميع ووقف بعيدًا منتظر اللحظة المناسبة لكي يدخل إلى العالم السفلي، وبينما مانيتون خرج إليهم من داخل الأشجار وهو يبتسم وقال لهم: أعتذر لكم لأنني تأخرت كثيرًا عليكم.

فإنتبه إليه الجميع ونهضوا رافعين أسلحتهم باتجاهه، فاستمر مانيتون بابتسامته لكي يكتسب المزيد من الوقت من أجل سوبيك وقال لهم: لا أقصد بالطبع أن أزعجكم بل أريد منكم أن تسدوا لي خدمة صغيرة.

فنظر كربيروس إليه وهو يعلم أن هناك خدعة ما سيقوم بها مانيتون فصاح كربيروس غاضبًا: لا تتقدم أكثر من ذلك وأخبرني لماذا أتيت إلى هنا، وأين سوبيك؟

واستغل سوبيك انشغال الجميع بمانيتون ودخل من خلفهم إلى العالم السفلي. فابتسم الذئب عندما رأى سوبيك يعبر البوابة ونظر إلى كربيروس وقال له: قد أرسلته إلى الجحيم كما سأرسلكم الآن. ثم انقض عليهم كما ينقض على فريسته.

فأمسك أفعة بأسنانه وفصل رأسها. ثم هجم عليه بسرعة كبيرة أقوى اثنين من المردة وبردة فعل سريعة أطاح برأس الاثنين بأظافره الحادة وقذف رؤوسهم على كربيروس، ثم نظر مانيتون إلى كربيروس نظرة حادة غاضبة، ثم زمجر بصوت مرتفع. فبادله كربيروس نفس النظرة الحادة وطار بجناحيه مبتعدًا عنه ووقف على إحدى الأشجار العالية ينتظر تدمير قوة مانيتون من أثر قتاله ضد المردة والأفاعي لكي يقضي عليه بسهولة.

ومن ناحية أخرى اجتاز سوبيك بوابة العالم السفلي وما كان المكان إلا فراغًا كبيرًا ممتلئًا بالغبار الساخن والضباب الأحمر الكثيف وقال: من يرى البوابة من الخارج لن يصدق أن هذا السواد العظيم بداخلها.

فإلتفت يمينًا ويسارًا ولم يجد سوى طريق واحد ووقف يفكر ماذا يفعل؟ وفجأة انشقت الأرض تحته وابتلعته إلى الأسفل. وما أن سقط نهض مرة أخرى ووقف على رجليه ونظر في جميع الاتجاهات من حوله. فوجد أنه وقع في مكان أشد كآبة وحزنًا وممتلئ بالغرف ذات الأبواب الحديدية الضخمة ووقف يتأمل الغرف ويفكر ما بداخلها.

فسمع صوتًا ينادي باسمه فنظر إلى الخلف ووجد رجلًا كبيرًا ذات شعر أبيض يحمل في يده سيفًا أحمر ينتهره: لماذا أتيت إلى هنا؟

فأجابه سوبيك: قد أتيت للبحث عن صديقي وتحريره من هنا؟ إذًا أخبرني من أنت؟

فأجابه هذا الرجل: أنا حارس سجون العالم السفلي مينوتوروس وإن كنت تريد تحريره، فقاتلني.

فتحول مينوتوروس من رجل طاعن السن إلى وحش ضخم نصفه إنسان والنصف الآخر ثور عظيم.

وقف الاثنان في مقابلة بعضهما، وعيونهما ينبثق منها شرارة الغضب، مينوتوروس الذي يحمي سجون العالم السفلي؛ وسوبيك الذي يريد تحرير صديقه.

فأخرج الاثنان سيوفهما من جعبتها وتحركا في بطء شديد في دائرة صغيرة فصاح مينوتوروس وهو يشير بسيفه إلى سوبيك: كيف تتجرأ أيها الحيوان أن تأتي إلى هنا؟ لم يأتِ أحد إلى هنا وخرج حيًا.

فقابلت كلمات مينوتوروس الحادة الاستهزاء من جانب سوبيك وقال: الجميع مات هنا بحد سيفك هذا، ولكنني أعدك سنخرج معًا أنا ورأسك.

فانطلق الاثنان باتجاه بعضهما حاملي سيوفهما إلى الأعلى، مزمجرين بأعلى صوتهما. وبدأ القتال بينهما وتصادمت السيوف في بعضها وضربات متتالية سريعة من الجانبين وكل منهما يريد حسم القتال مبكرًا لصالحه.

ولكن من شدة الضربات التصقت السيوف في بعضها ووقع الاثنان من جراء قوة ضرباتهما ثم نهضا بسرعة كبيرة ممسكي أسلحتهما في يدهما بإحكام كبير، فنظر الاثنان إلى بعضهما نظرات حادة ممتلئة بالغيظ والغضب.

فانقض مينوتوروس بسيفه الحاد على سوبيك، ولكن سوبيك بخبرته الكبيرة في القتال على مر الزمان انزلق على الأرض واضعًا سيفه الحاد داخل جسد مينوتوروس.

فسقط السيف من يد مينوتوروس ونظر إلى سوبيك، نظرة مفجعة، نظرة ترقب إلى نهايته المحتومة، ثم سقط على الأرض.

وتركه سوبيك وأسرع وحطم أبواب السجون الحديدية وأخرج أنوبيس من سجنه وأخبره في سرعة كبيرة بكل ما حدث، وأخبره بأن يخرج ويساعد الذئب مانيتون ضد كربيروس.

فأسرع أنوبيس إلى الخارج، وأما سوبيك فأسرع ووقف بجوار مينوتوروس ورفع سيفه عاليًا وأطاح برأسه.

❋❋❋❋

أين نحن السجن مظلم للغاية، لا أرى شيئًا؟ قالتها نجلاء وهي مكبلة بالسلاسل وكان الصمت عظيمًا حتى قطع صمتهم صوت قادم من شخص ما قابع داخل السجن قائلًا: من أنتم؟

فازدادت حيرة الثلاثة ولم يستطع أحد أن يتكلم لشدة اكتئابهم فعاد الصوت مرة أخرى وكرر ما قاله: من أنتم؟

وصمت للحظات قليلة وأردف حديثه: لن أكرر ما أقوله مرة أخرى، أشم رائحة الغدر والخيانة من أحدكم.

فنظر الثلاثة إلى بعضهم البعض في غضب وحيرة فأجابه عماد: ماذا قلت؟ فنحن قد تربينا معًا منذ صغرنا. والآن تخبرني أنك تشم رائحة الغدر بيننا، ولكن أخبرني من أنت؟

وأثناء حديثهم فتح أحدهم باب السجن وقال لهم بصوت غليظ: استعدوا فبعد قليل سننطلق إلى غابات سيبرا.

ومع فتح باب السجن تسرب ضوء الشمس إلى الداخل واستطاع الثلاثة أن يتعرفوا على من في السجن معهم. واندهشوا كثيرًا عندما علموا أنه رع مكبلًا بجوارهم، فصرخ أيمن بشدة: أي جنون هذا الذي يحدث هنا؟ خدعتنا وبقيت معنا حتى أعطيناك الأمان ووثقنا

بك، وفي نهاية الأمر خنتنا وسلمتنا إلى ساتان، قد طعنتنا في ظهرنا بخنجر حاد. ونظر إليه نظرة في محملها الكره والحقد.

وضحك رع وكانت ضحكاته ممتلئة بالحزن والكآبة وقال: كيف طعنتك بخنجر حاد وأنا هنا مكبل بالسلاسل منذ آلاف الأعوام؟

فشهق الجميع أنفاسه رعبًا ممن سمعوا وقال أيمن بصوت مرتفع موجهًا كلامه إلى عماد ونجلاء: ألم أخبركم بأن نفعل ما أمرنا به سوبيك ونقتله من البداية، هذا الخبيث يحاول خداعنا مرة أخرى.

ونظر إلى رع وأردف: كف عن خداعنا. كان يجب علينا قتلك، عندما وقعت في أيدينا داخل مساكن المدينة.

ثم تنهد رع وهز رأسه آسفًا على ما حصل لهم وقال: أنتم أغبياء كان عليكم أن تستمعوا إلى ما قاله سوبيك لو كنتم استمعتم إليه لما كنتم هنا الآن.

فتنهد رع قليلًا وأردف: صدقتم ما أقوله أو لا فهذا لن يغير شيئًا من الحقيقة.

فأجابه عماد وهو غاضب: عن أي حقيقة تتحدث وأنت شاركت في خداعنا وسلمتنا إلى هذا الشيطان، والآن تخبرنا أنه كان يجب علينا قتلك.

ومن شدة غضبه صرخ رع: استمعوا إلى ما أقوله أيها الأغبياء: قد سئمت من كل هذه الاتهامات الباطلة، ليس ذنبي أنهم خدعوكم وفشلتوا في مهمتكم.

فصاحت نجلاء بصوت أكثر حدة: كفى كاذبًا أيها الخائن.

فلم يبدِ اهتمامًا بما قالته نجلاء وتابع حديثه: في الماضي لم أستمع إلى سوبيك عندما أخبرني بألا أجازف وأذهب إلى المدينة. وأخبرني بألا أفكر في البحث عن قلادة مرمدة وأنسى أمرها، فأنا الوحيد الذي يستطيع العثور عليها. فحتى جيوش الظلام بأكملها لم تعتقد أن القلادة كانت داخل حصنهم. ولكنني لم أستمع إليه وجازفت بكل شيء، وبدون ما يعلم سوبيك ذهبت إلى داخل المدينة وبحثت عنها في كل مكان، حتى عثرت عليها داخل مساكن المدينة. المكان الوحيد الذي لم يتصور أحد أن القلادة مخبأة به.

فتوقف رع عن الحديث قليلًا وغاص في ذكريات الماضي وأردف: الشيء الذي لم أتوقعه هو مراقبتهم لي، وبعد أن عثرت عليها حاصروني وأخذوا القلادة بالقوة وألقوني داخل السجن ومنذ ذلك الوقت وأنا هنا مكبلًا بالسلاسل.

فضرب أيمن قدمة في الحائط من شدة غيظه وقال: كفى كذبًا، أنت تحاول أن تخدعنا مرة أخرى.

فأجابه رع بضحكة فاترة: لا يهمني إن كنت تثق في كلامي أو لا ولكن دعني أنهي حديثي ولا تقاطعني.

ثم ساد صمت عظيم حتى قاطعه رع وقال: والآن القلادة في يد مرن ينتظر من يحمل دماء سنفرو النقية لكي يفك طلاسم السحر الأسود من الحائط. والآن قد أتى من يستطيع فك هذا الطلاسم بدمائه والذي لا يعرفه أحد غيري.

فقالت نجلاء: أخبرنا من منا يحمل دماءه؟

فنظر إليها رع نظرة حادة وأجابها: بالطبع لن أخبركم أيها اللعينة من يحمل دماءه، وإن أخبرتكم سيموت الآن منكم اثنان وغدًا سيموت الثالث. قد تذكرت شيئًا أود أن أخبركم به: فهناك شخص آخر يعلم من هو حامل دماء سنغرو... إنه مرن بواسطة القلادة.

فنظر الجميع إليه منتظرين أن يكمل حديثه وأردف رع: في اتحادكم ستجدون الخلاص بأنفسكم من هنا. ورع الذي كان معكم ليس أنا، بل كان إبليس قد غير هيئته واستطاع أن يخدعكم.

ثم قام أحدهم بفتح باب السجن وسمعوا صوت أقدام نازلة على سلالم السجن وشخصًا يصفق بيده: حسنًا يا رع قد أخبرتهم بالحقيقة، ولكن قد عرفوها متأخرًا جدًا. عفوًا سنأخذهم إلى غابات سيبرا ثم اللقاء الأخير في معبد بافومين.

ثم أمر إبليس الشيطان القصير ذات وجه القرد حراسه بأن يأخذوهم، وبينما هم يخرجون ألقى أيمن شفرة صغيرة حادة جدًا على الأرض بجوار رع بدون أن يلاحظه أحد.

❋❋❋❋

وفي سرعة كبيرة لم يتوقعها كربيروس، استطاع مانيتون أن يتخلص من الكثير من المردة والأفاعي بفضل قوة جسده الضخم وأظافره الحادة وأسنانه القوية. ثم أمسك أفعة من رقبتها ونظر إلى كربيروس نظرة حادة. وكان كربيروس يضحك بصوت مرتفع أغضب مانيتون، وفي الحال قذف مانيتون الأفعى على كربيروس فطار من مكانه متفاديًا إياها.

وجن جنون مانيتون وأمسك أفعى أخرى وغرز أسنانه الحادة داخل رقبتها وألقها بعيدًا.

وقد تلقى من الخلف ضربة قوية أطاحت به بعيدًا مصطدمًا بإحدى الأشجار العملاقة ثم نهض مسرعًا ليرى من الذي ضربه، فكانت المفاجأة عشتروث تقف أمامه وتعلو الابتسامة وجهها، فأشارت بيدها إشارة الهجوم. فخرج من خلفها الكثير من الأفاعي العملاقة ومن خلفهم كربيروس.

فنظر مانيتون إلى بوابة العالم السفلي وتساءل: ما سبب تأخر سوبيك في الداخل؟

وانقض الجميع عليه ولكنه صمد أمامهم الكثير من الوقت بقوة إرادته وشجاعته. وبينما كان يقاتلهم بكل قوة وشجاعة سمعوا صوت ارتطام عظيم، فالتفت الجميع إلى الخلف فكانت عشتروث ساقطة بجوار شجرة عملاقة. وكانت المفاجأة لكربيروس إنه أنوبيس العظيم قد تحرر أخيرًا وهو من ضرب عشتروث بيده.

فكان يقف أنوبيس متسلحًا بسيفه ودرعه محدقًا بعين مانيتون، وكان كربيروس يقف في وسطهم منحازًا ناحية اليسار قليلًا. ومن ثم زمجر في وجههم فبدأت الأفاعي تلتف حول عشتروث لحمايتها من غضب أنوبيس إله الجحيم الذي سُجِن داخل سجون العالم السفلي للآلاف من الأعوام من قبل صديقه القديم كربيروس.

فكانت الأفكار تشطر رأس مانيتون: الآن أنوبيس لا يعلم أنني أقاتل من أجل تحريره، وسوف نتقاتل معًا الآن. وتساءل مانيتون في حيرة: أين أنت يا سوبيك، وكيف خرج أنوبيس قبلك؟ العل أنوبيس قتلك بالأسفل؟

وبينما كان يفكر مانيتون، تقدم أنوبيس وعيونه محدقة بشدة إليه، وكانت عيونه ممتلئة بالغضب، فبدأ مانيتون بالتراجع قليلًا إلى الخلف ليس للهرب، بل للهجوم على أنوبيس.

وبينما كان أنوبيس يتحرك نحوه، كان مانيتون يتأهب هو الآخر للانقضاض عليه. فتراجع كربيروس أكثر وأكثر من أجل أن يشاهد القتال من بعيد، وبعد ذلك ينقض على الفائز الذي ستنهار قوته ويمزقه.

وفي مفاجأة ليس متوقعة من أحدهم، صاح أنوبيس إلى مانيتون: انقض على كربيروس واقتله. وفي لحظات انقض مانيتون على كربيروس ونشب بينهما قتال عنيف.

وأما أنوبيس التف نحو عشتروث وعيونه تنبعث منها شرارة الغضب وقال لها: مرحبًا بكِ أنتِ وزوجك في أسفل أعماق الجحيم، منذ زمن بعيد وأنا أود أن أتحرر من سجني لقتلكم.

وهجم عليها ولكن في ذكاء كبير تراجعت عشتروث وهجمت الأفاعي بدلًا منها على أنوبيس. ودارت معركة أخرى بين أنوبيس والأفاعي، أما عشتروث فتراجعت واحتمت خلف قواتها ونسيت أن في الاتحاد قوة والانقسام ضعف.

وضعفت قوة مانيتون إثر عدة ضربات متتالية قاتلة من قبل كربيروس أدت إلى وقوعه أرضًا وفقده معظم قوته. لأنه ظل يقاتل وقتًا كبيرًا ضد المردة والأفاعي، وبعدما سقط وقف كربيروس فوقه وقال: أتمنى أن تنعم بحياة هادئة في أعماق الجحيم.

وابتسم كربيروس ابتسامته الشيطانية الخبيثة ونظر في عيونه مباشرة، ثم بادله مانيتون ذات الابتسامة الماكرة وقال له: ومن أنت لكي ترسلني إلى الجحيم ما أنت إلا نكرة وسوف أدمرك.

فاغتاظ كربيروس ورفع سيفه عاليًا وكاد أن يقتله، ولكن رمى أحدهم شيئًا اصطدم في رأسه، وما صُدِم به ما كان إلا رأس حارس سجون العالم السفلي مينوتوروس. فنظر كربيروس إلى الرأس وهي ملقية بجواره فاستشاط غضبًا. فنظر خلفه فوجد سوبيك يتقدم نحوه ببطء، فانطلق كربيروس نحوه وأخرج نارًا من فمه كادت أن تلتهم سوبيك ولكنه أفلت منها .

فضربه كربيروس مرة أخرى بالسيف فاصطدم به وجرحه جرحًا غائرًا في قدمه وترانح يمينًا ويسارًا وكاد أن يسقط أرضًا إلا أن كربيروس أسرع ووضع أظافره الحادة داخل باطنه محطمًا أضلاعه. ونظر إلى عينه مباشرة بابتسامته الماكرة، فسقط سوبيك على الأرض جثة هامدة وتركه وابتعد عنه واتجاه إلى مانيتون مرة أخرى.

وكان مانيتون يشاهد كل ما حدث ولكنه لم يستطع فعل شيء، لأنه كان ملقى على الأرض يتألم بشدة من جراحه. وحاول النهوض مرة أخرى ولم يستطع أن يقف على رجليه وسقط على الأرض.

فاقترب إليه كربيروس وأمسكه ورفعه إلى الأعلى بيده الاثنين وألقاه على إحدى الأشجار، فسقط مانيتون متألمًا وتقدم كربيروس إليه وقال له: قد مات صديقك أمام عينيك ولم تفعل شيئًا لإنقاذه أيها الجبان.

وعندما سمع كلامه، غضب كثيرًا ونهض بصعوبة بالغة وهو مكبل بآلام عظيمة في جميع أنحاء جسده. فوقف الاثنان في مقابلة بعضهما ووجههما ممتلئ بالغضب. فاقترب كربيروس إليه ورفع يده وكاد أن يضربه، لكن مانيتون سبقه بضربة سريعة غارزًا أظافره

الحادة داخل رقبته فتراجع كربيروس على إثر الضربة القوية الذي تلقاها. وتراجع مانيتون أيضًا إلى الخلف واضعًا جسده على الأشجار والدماء تنفجر من كل أنحاء جسده.

فتحرك كربيروس ببطء باتجاهه وهو واضع يده على جراحه، وعندما اقترب منه كثيرًا، ضحك مانيتون ضحكات عالية، فغضب كربيروس وقال له: لماذا تضحك وأنت على حافة الموت؟

فأجابه مانيتون: لأنني حقًا سأموت وسوف أرسلك معي إلى الجحيم. ثم انقض على كربيروس غارزًا أسنانه داخل رقبته واخترق صدره بيده الحادة واقتلع قلبه. ولم يتركه إلا وهو على الأرض مضجر في دمائه، فوقف مانيتون فوقه وزمجر بصوت عال.

من شدة جراحه وقع بجواره لأنه لم يملك قوة الوقوف بعد هذا القتال العنيف. فنهض مانيتون ببطء، عندما سمع صياح أنوبيس عليه وهو يخبره: اذهب إلى سنفرو وأخبره بالاستعداد للحرب والهجوم على المدينة. انطلق بأقصى سرعة وسوف أتبعك عندما أنتهي من هذه الشيطانة.

فنهض ببطء واتجه إلى جيوش سنفرو الرابضة داخل جبال النار.

فذهب مانيتون إلى سنفرو واخبره بما حدث. وبقى أنوبيس يقاتل الأفاعي بضراوة وشراسة واستطاع أن يقتل منهم الكثير حتى اقترب إلى عشتروث التي كانت تراقب ضربات أنوبيس الغاضب لمقتل صديقه سوبيك.

وكان يقتل أشد الأفاعي بضربة واحدة إلى أن قتل الجميع، ووقف أمام عشتروث ينظر إليها بغضب عارم. وكانت تقف أمامه بابتسامة ممتزجة بالخوف والرعب. وبعد لحظات

قليلة هجم عليها أنوبيس، لكنها أسرعت إلى الخلف برشاقة كبيرة متفادية هجومه. وقف ونظر إليها بابتسامة تحمل الكره الشديد لها وقال: أريد دائمًا أن أرى الخوف على وجهك، ولكنني لن أراه كثيرًا لأنك ستموتين اليوم.

فازداد الخوف على وجه عشتروث من قوة أنوبيس وصلابته، ولكنها بدأت تستجمع قوتها وتطرد الخوف من داخلها.

فأمسك أنوبيس رقبتها فضربته على رأسه وقالت له: تعتقد أن بإمكانك قتلي، فأنت مخطئ وغبي، اليوم سوف تلقى مصير سوبيك الملقى أمامك ميتًا وسأحرص على دفنك بجواره.

ثم رمت عباءتها بعيدًا وفي حركة بهلوانية أخرجت رمحها ذا الرأسين الحادين وقد أخرج أنوبيس هو الآخر سيفه.

تبادر عشتروث بضربه برمحها وأنوبيس يتفادى ضربتها مبتعدًا إلى الوراء قليلًا ثم تضربه ضربة أخرى. ويصدها أنوبيس، ثم عدة ضربات متتالية باتجاه أنوبيس الذي لم تأتِ بثمارها بسبب صموده.

فصرخ أنوبيس ضاربًا رمح عشتروث بدرعه الكبير: قد انتهى دورك الآن، وحان دوري.

ثم ضربها بسيفه وأسقط شعرها فصرخت عشتروث صرخة مرعبة. لأن شعرها كان مصدر قوتها الحقيقي وكان مصدرًا للأفاعي، وبذلك فقدت معظم قوتها. ثم سقطت على الأرض، فاقترب إليها أنوبيس وقال لها: كنت أعلم أنه مصدر قوتك الحقيقي، إنه شعرك.

ثم رفع سيفه وغمده في قلبها فكانت هناك أفعى ملقية على الأرض لم تمت بل كانت مصابة إصابة بالغة نهضت وأسرعت باتجاه المدينة، وأما أنوبيس فحمل سوبيك وأجلسه بجوار إحدى الأشجار وكان يصرخ بصوت عظيم

❊❊❊❊

وفي قاعة العرش الضخمة حيث الغموض والرعب يجلس مرن على العرش بهيئته الشيطانية السوداء يفكر بسعادة بالغة كيف يحرر واجة والتخلص من سنفرو ومن معه إلى الأبد؟

فنهض مرن مفزوعًا من فوق العرش على أثر صراخ عظيم قادم من خارج القاعة: قد ماتت عشتروث يا سيدي على يد أنوبيس، أنوبيس قتلها.

فأضرمت هذه الكلمات النيران في قلبه فوقف صامتًا من هول ما سمع يستوعب ما سمعه. فكانت الأفعى تقف خارجًا فأشار لها بالدخول. فأدخلها الحراس إلى الداخل فتقدمت إليه وركعت أمامه وهي تبكي وقال لها: ماذا حدث؟

فكانت تبكي بحرقة وقالت له: قد ماتت الملكة على يد أنوبيس بعد ما أن حرره سوبيك. وقتل ايضًا كربيروس وحارس سجون العالم السفلي مينوتوروس وكل المردة والأفاعي، وقد مات سوبيك أيضًا في القتال.

فعندما عرف مرن كل ما حدث كاد قلبه ينفجر من الوجع على زوجته. وحاول أن يتظاهر بالثبات أمام الأفعى، إلا أنه بكى وجلس على العرش وقال لها: إذًا أين كنتِ عند مقتلهم؟

فلم تجبه بكلمة واحدة وبعد لحظات من الخوف والذعر اللذين ظهرا على وجهها أجابته: كنت غارقة في دمائي إثر ضربة تلقيتها من أنوبيس.

وأظهرت له الجرح العميق في جسدها وأردفت: ولم أستطع مقاومته، وبعدما قتل سيدتي عشتروث هربت منه بصعوبة وأتيت لأخبرك يا سيدي.

فنهض مرن من فوق العرش وأخرج سيفه واقترب إليها وصاح: كفى كذبًا، ليس هناك أحد في جيشي يترك القتال أبدًا إلا وهو ميت.

وطعنها عدة طعنات متفرقة في أنحاء جسدها. وصرخ على الحراس: خذوا هذه الأفعى من هنا واغلقوا أبواب المدينة وكل الجيوش تستعد للحرب، وأرسلوا إلى ساتان وأخبروه أن يرسل حفيد سنفرو ومن معه إلى معبد بافومين، وأرسلوا إبليس بجيوشه إلى راسبتون لمحاربة سنفرو. وسأتبعكم عندما تتحرر واجة من سجنها، كل شيء يجب أن ينتهي غدًا.

❊❊❊❊

أسرع إحدى قوات سلاح الكشافة إلى سنفرو وأخبره: قد رأيت مانيتون ذئب الغابة يقترب إلينا وبه جروح خطيرة.

فأسرع سنفرو وراءه من بعيد وقال لسلاح الكشافة: لا أحد يهجم عليه فهو جريح، دعوه يتقدم ويخبرنا بما يريد قوله.

فلم يقوَ الذئب على الاقتراب أكثر، فوقع على الأرض، فأسرع إليه سنفرو وباقي قادته وحاملوه إلى داخل المعسكر.

فرفع مانيتون رأسه ووجدهم حاملي أسلحتهم في وجهه فقال له سنفرو: لماذا أتيت إلى هنا؟

فتنهد مانيتون وتكلم في بطء: أنوبيس هو من أرسلني إليكم.

فضحك الجميع وصاح سنفرو في وجهه: كف عن خداعنا، وكيف أرسلك إلى هنا، وهو ملقى في أعماق الجحيم؟

فأجابه مانيتون بأنفاس متقاطعة: ذهبنا إلى بوابة العالم السفلي أنا وسوبيك. فاشتبكت مع كربيروس وعشتروث، أما سوبيك دخل إلى العالم السفلي وقتل حارس السجون مينوتوروس وأخرج أنوبيس من أعماق الجحيم.

فتعجب الجميع وقال له سنفرو: وإن كان أنوبيس هو من أرسلك، إذًا أين هم؟

فبكى الذئب بكاءً حارًا وقال له وهو مفطور القلب: كربيروس قتل سوبيك، وأنوبيس أرسلني إليك أثناء قتاله ضد عشتروث وقواتها، ولا أعلم هل ما زال حيًّا أم مات كما مات سوبيك.

وحينما انتهى مانيتون من حديثه حدث ارتباك عظيم داخل صفوف جيش سنفرو، لأنهم أصبحوا بلا إله يرأس الجيش، وقد ارتبك سنفرو هو الآخر ومعه قادته ارتباكًا عظيمًا.

ودخل سنفرو إلى خيمته ومعه قادته ومانيتون خلفهم. وبادر الأطباء إلى معالجة مانيتون وقال سنفرو لقادته: الآن أصبحنا بلا إله يقود هذه الحرب، قد مات سوبيك ولا نعلم مصير أنوبيس ولا نملك سوى الانسحاب إلى جبال النار.

فصاح مانيتون وقال: بعد كل هذه الأعوام كيف ننسحب؟ لا تفكر حتى في هذا الأمر، هل نسيت ماذا فعلوا بسكان هذه المدينة وهي تحت يدك؟

فنظر سنفرو إلى مانيتون باشمئزاز وقال: عندما أريد أن آأخذ رأي عدو سابق، سوف أخبرك.

فصاح مانيتون في وجه سنفرو: القرار ليس قرارك وحدك، القرار يشمل الجميع، يشمل هذا الجيش العظيم الرابط في الجبال ينتظر لحظة الحسم.

فلم يجبه سنفرو حتى بكلمة واحدة والتفت إلى قادته وقال لهم: انقضوا هذا المعسكر سننسحب إلى جبال النار.

فظهر أنوبيس من العدم وعلى وجهه الغضب المطلق وقال: في ماذا تفكر يا سنفرو؟ هل تفكر في الانسحاب؟

فساد الصمت مدة قليلة ولم يستطع سنفرو أن يتفوه بكلمة واحدة أمامه وأردف أنوبيس: منذ متى والانسحاب في عقيدة جيشنا العظيم؟

ففرح مانيتون فرحًا عظيمًا، وأما أنوبيس خرج من خيمة سنفرو وصرخ: قفوا تأهبوا للحرب، ليست جيوشنا من تنسحب. منذ فجر التاريخ ونحن جبابرة الحرب، فكيف ننسحب؟

فعلق الجميع عيونهم إلى صاحب هذا الصوت وكانت مفاجأة عظيمة للجميع، فكان أنوبيس هو المتحدث فهتفت الجيوش باسمه حتى اهتزت الأرض تحت أقدامهم فصاح

أنوبيس: حقًا قد مات سوبيك، وهل من أجل ذلك ننسحب؟ أم ندمر المدينة على رؤوس من بداخلها؟

فتهف الجميع باسمه مرة أخرى وأردف أنوبيس حديثه: دعوكم من سوبيك وأنوبيس وسنفرو وغيرهم هل نسيتم دماء أحفادكم وأبنائكم لكي تنسحبوا، هل نسيتم النيران التي أكلت الأقزام؟

فصاح الجيش بصوت واحد: لا لا لا.

فرفع أنوبيس سيفه عاليًا وقال: إذًا سنهدم المدينة فوق من بداخلها. الآن استعدوا للحرب سنقاتل عند إشارتي.

فنظر أنوبيس إلى مانيتون وابتسم الاثنان ابتسامة النصر.

❋❋❋❋

بعد أن أخذوا الثلاثة من داخل السجن، أمسك رع الشفرة الحادة الصغيرة التي ألقاها أيمن على الأرض بأصابع رجلية وبدأ في قطع الحديد. وأخذ الكثير من الوقت حتى استطاع أن يفك قيده بعد آلاف الأعوام من سجنه داخل سجن قلاع الجان.

فصعد رع سلالم السجن العالية وهو ليس في يده سوى السلاسل الذي كان مكبلًا بها والشفرة الحادة.

واقترب كثيرًا إلى باب السجن ونظر بعينيه إلى الخارج ولم يجد أحدًا ثم حطم الباب، وبعد الكثير من الأعوام داخل السجن خرج منه يشعر بالحرية.

فأراد أن يأخذ معه سلاحًا لكي يدافع به عن نفسه، لأنه لم يملك سلاحًا غير الشفرة الصغيرة والسلاسل.

فذهب يفتش عن سلاح قوي حتى وجد فأسًا مع أحد حراس الجان، فاختبأ خلف الجدران حتى اقترب الجن إليه. فخرج رع من خلفه وطعنه في رقبته بالشفرة الصغيرة، وأغلق فمه حتى لا يُصدِر صوتًا وينفضح أمره.

فحمل رع سلاحه الجديد وخرج من السجن ببطء وحذر شديد لكي لا يلاحظه أحد، فلم يجد أحدًا من الجان داخل القلاع. فتقدم بحرص باتجاه غابات سييرا وحينما كان يتقدم داخل الغابات باتجاه معبد بافومين، وجد سباركس ومن معه يقفون خلف الأشجار كمن يراقب فريسته وينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض عليها.

فتقدم رع بحرص ووضع الفأس على رقبة سباركس وقال له: اترك سلاحك بهدوء ولا تصدر صوتًا وإلا قطعت رأسك.

فالتفت سباركس ببطء إلى الخلف وغضب عندما علم أنه رع الخائن فساد الصمت قليلًا حتى قال له رع: لماذا تختبئ خلف الأشجار هكذا؟

فلم يجبه سباركس أيضًا ونظر إليه بغضب، فضغط رع بالفأس على رقبته وقال له: لن أخبرك مرة أخرى ماذا تفعل هنا؟

فأجابه سباركس بنظرة حادة: جئت لكي أقتلك أيها الخائن.

فصاح رع وضغط على رقبته أكثر بالفأس: لو نطقت هذه الكلمة مرة أخرى سأفصل رأسك عن جسدك، وأخبرني لماذا تقف هنا؟

فأجابه سباركس بنظرة حادة : لكي أقتلك وأقتل كل ملوك الظلام.

فتعجب رع وقال له: وهل هناك ذئب يقتل أسياده، أم أنتم دائمًا تخونون أسيادكم؟

فازداد غضب سباركس وقال: لو كان هؤلاء استمعوا إلى سوبيك وقتلوك، فلم نكن نراك الآن.

فتحير رع في أمرهم وأيقن أن هذا الذئب يعتقد أنه إبليس فقال له: ماذا تعتقد من أنا؟

فأجابه سباركس على الفور: أنت رع الخائن.

فأجابه رع: لو كنت خائنًا لقتلتك من الخلف. ليست أنا من خان أرضه بل كان شيطانًا يستطيع أن يأخذ أشكال عديدة.

فقال له سباركس: هل تقصد أن من سلمهم إلى مرن هو شيطان وليس أنت؟

فرجع رع خطوتين إلى الخلف وقال: شيطان اسمه إبليس استطاع أن يخدع الجميع ويتخذ شكلي.

أنزل رع الفأس من فوق رقبة سباركس فنظر سباركس إلى الأمام والتقت أنفاسه بصعوبة بالغة وقال: الآن ماذا سنفعل حيال هؤلاء الثلاثة؟ وإن لم نحررهم الآن، فسنخسر كل شيء، لأن مرن ذهب بهم إلى معبد بافومين لكي يحرر واجة.

فأجابه رع: اطمئن فإنهم حتى هذه اللحظة لا يعرفون من هو الشخص الذي يحمل دماء سنفرو، ولكن عندما يذهبوا إلى المعبد سيكتشف مرن من يحمل دماء سنفرو عن طريق قلادة مرمدة، ولذلك يجب أن نسرع إلى هناك.

فأجابه سباركس: إذًا يجب علينا التحرك الآن وإلا تحررت هذه الشيطانة واجة.

فأجابه رع: نحن الآن في غابات سيرا احترسوا لأنها ستحرص بأننا لن نعبر غاباتها إلى معبد بافومين.

فأجابه سباركس: أعدك سوف أقتلها بيدي قبل مغادرتي غاباتها.

فتقدم السبعة إلى داخل أعماق الغابة مخترقين بسيوفهم أوراق الغابة المتشعبة في كل مكان.

❊❊❊❊

اقتربنا كثيرًا إلى معبد بافومين وأخيرًا ستتحرر واجة، قالها ساتان وانفجر ضاحكًا.

فظل الثلاثة يفكرون ماذا يفعلوا لكي يخرجون من هذه المشكلة؟ فقطع تفكيرهم صوت إبليس وهو يقول: اقتربنا إلى المعبد ولا أرى مرن.

فأجابه ساتان: يبدو أنه في المعبد يحتفل بما انتظره منذ آلاف الأعوام.

فضحك إبليس كثيرًا إلى أن قاطعه أحد حراس مرن قائلًا: يا سيدي جلالة الملك مرن يريدك أن تذهب إلى راسبتون ومعك كل جيوشك لمساعدته.

فحدق إبليس في وجه الحارس وقال له: أين مرن الآن؟

فأجابه الحارس: إنه ينتظر ساتان داخل معبد بافومين.

فقال له إبليس وهو يجز أسنانه من شدة حماسه: حانت اللحظة التي كنت أنتظرها منذ زمن بعيد.

فأجابه الحارس مبتسمًا: لا أعلم ولكن يبدو من تحركات الجيوش فالحرب اقتربت أكثر من ذي قبل.

فانطلق إبليس وأخذ معه جيوشه الجرارة التي لا تُحصى ولا تُعَد بأسلحتهم الفتاكة، متجهًا إلى أبواب المدينة متحدًا بجيوشه مع جيوش راسبتون، أما ساتان فأخذ الثلاثة إلى معبد بافومين.

❋❋❋❋

فسمع سباركس أصوات تخشخش خلفهم كمن يهز أوراق الأشجار العملاقة، فوقف وقال: قف يا رع هنا فأنا أسمع صوت أشياء لا أعلم ما هي في كل مكان.

فصاح أحد الذئاب، فنظروا إليه فلم يجدوه في مكانه. واحدًا آخر خلفه وتكرر الأمر مرة ثالثة ولم يتبقَ مع سباركس سوى اثنين من الذئاب ووقف الأربعة بجوار بعضهم لكي يدافعوا عن أنفسهم.

فخرجت إليهم من خلف الأشجار امرأة سوداء كالفحم شعرها الأبيض الطويل سلاحها الأول الجبار في القتال.

فرفع الأربعة أسلحتهم وهجموا عليها دفعة واحدة، فأطلقت شعرها باتجاههم ضاربة أيدهم فسقطت أسلحتهم من جراء شدة ضربتها.

ثم سحبت أسلحتهم بشعرها وألقيت بهم بعيدًا، ثم نظرت إليهم نظرة صارمة وقالت: هل هذه كل قوتكم؟ أروني ما في جعبتكم من قوة. وضحكت ضحكًا هستيريًا استفزت الأربعة ثم هجم عليها أحد الذئاب وبضربة واحدة من سيفها أطاحت برقبته.

فاستشاط سباركس والباقين غضبًا وأمسك فرع شجرة كبيرًا وهجم عليها وأحضر رع والذئب الآخر سلاحهم وهجموا عليها. ولكنها أطالت شعرها باتجاه رع وأمسكت سلاحه وأثناء ذلك قام الذئب الآخر بقطع شعرها.

وبذلك فقدت قوتها فتراجعت للخلف قليلًا فضربها سباركس على رأسها بجزع الشجرة وانهال عليها ضربًا حتى سقطت على الأرض فوقف رع فوقها وأطاح برقبتها بعيدًا.

فاحتفل الثلاثة بانتصارهم لوقت قليل فقال رع: ليس لدينا الوقت الكافي للاحتفال، يجب علينا أن نتحرك الآن فإنهم ذهبوا إلى معبد بافومين. فانطلق الثلاثة في الطريق المؤدي إلى المعبد.

❋❋❋❋

وبابتسامة ساخرة قال مرن: هل أنت دائمًا متأخر هكذا؟

فضحك ساتان وقال: ها قد جاء الوقت الذي كنا ننتظره منذ زمن بعيد.

وبينما ساتان يتقدم نحو بوابة المعبد، أسرع مرن وفتح الأبواب فمر الجميع من بينها وكان الجو في الداخل خانقًا، والغبار الرمادي يملأ المعبد، فهبطوا سلالم قليلة تؤدي إلى داخل المعبد.

فكان المكان ضيقًا للغاية، فتقدم مرن إلى حائط صغير وكانت نظارته متجهة إلى أيمن فبادله أيمن نفس نظراته المتوحشة، فقال له مرن وهو يضع يده على الحائط الصغير: يبدو أن سوبيك جعلكم من مجرد شباب تائهة في الحياة إلى محاربين أشداء.

فضغط مرن على الحائط بكلتا يديه وانفتح الحائط إلى نصفين وظهر من الخلف ممر كبير وفي نهايته باب ضخم، فساروا داخل هذا الممر الممتلئ بالأشكال والرسومات الشيطانية المتوحشة، فكان الثلاثة يسرون داخله بصمت ورهبة مكبلين بالسلاسل الحديدية وذهب الجميع إلى نهاية الممر وفتح مرن الباب الضخم.

فشهقت نجلاء من هول ما رأت وصرخت من عظمة وهيبة غرفة تقديم الذبائح. فكانت غرفة كبيرة في منتصفها مذبح من حجر الجرانيت تنشق أسفله قناة كبيرة ممتدة إلى أسفل حائط حجري من اللون الأسود. وبعد أن دخل الجميع صرخ مرن: اغلقوا الباب وضعوا هذا الشاب على المذبح.

فأشار إلى أيمن فتعجب الجميع وأردف: هذا هو حفيد سنفرو ضعوه على المذبح، والقوا هؤلاء الاثنين داخل السجن. وأخذوا عماد ونجلاء إلى السجن.

فبعد أن أُغلِق باب السجن عليهما جحظ عماد بعينيه إلى نجلاء وهو لا يصدق ما يره ووقف كالصخر لا حراك له، وفقد السيطرة على لسانه، فقد تحولت من هيئتها البشرية إلى هيئة شيطانية. واستجمع عماد قوته وصرخ : من أنتِ أيتها اللعينة؟

فضحكت نجلاء وكانت تحوم حول عماد، ومن شدة ضحكاتها العالية فقد عماد أعصابه عليها. ولكنه كان مكبلًا ولم يستطع فعل شيء سوى الغضب الجامح وصرخ: كفى عن هذا الضحك وأخبريني من أنتِ، وأين نجلاء؟

فتوقفت الشيطانية عن الضحك وقالت: هل تقصد نجلاء الطفلة البريئة ذات السبعة أعوام التي قُتِلَت داخل هذا البيت اللعين.

فغضب عماد وصاح: هذا كله هراء الآن أخبريني من أنتِ؟

فضحكت الشيطانية بوجهها المخيف وقالت: سأخبرك بكل شيء، ولكن يجب أن تتمالك أعصابك لأنك ستسمع ما يطن أذنيك، وما يجعلك تكره الحياة.

فصمت عماد والغضب يملأ عينيه وأردفت: في الماضي القريب اكتشف الشياطين مولودًا يحمل دماء سنفرو الناقية. فكان يجب علينا أن نحافظ على حياته من أي سوء أو خطر، حتى يأتي موعد إيقاظ ست العظيم. ولأننا نريد أن تتحرر واجة مع إيقاظ ست لاكتمال قوتنا الضارية.

أرسلني مرن لكي أسكن في هذا البيت المهجور الذي جئتم منه. وبعد أعوام قليلة حان الوقت المثالي لكي أخرج وأعيش في قريتكم القذرة، وانتهزت فرصة قدوم نجلاء إلى هذا البيت وحدها وهي طفلة صغيرة، فقتلتها بهذين اليدين. واتخذت شكلها وخرجت وسكنت وسطكم، حتى يأتي الوقت المثالي لإرسال حفيد سنفرو صديقك أيمن إلى مدينة تاسا لتحطيم الحائط الذي بناه سنفرو بالسحر الأسود لحبس واجة خلفه.

وبعد ذلك قد رأى أخوك الأستاذين يتحدثان عن كنز عظيم أسفل هذا البيت، بالحقيقة يا حبيبي.

فهنا انفجر عماد غيظًا وصرخ: لا تنطقي كلمة حبيبي مرة أخرى، فأنتِ مجرد شيطانة وليس إلا.

فضحكت الشيطانة وقالت: سأخبرك باسمي الحقيقي إنه....

ثم نظرت إليه بابتسامتها المتوحشة وأردفت بصوت غليظ: اسمي نيفيتس. وبعد أن أقنعنا أخوك دخول هذا البيت، وبعد أن ذُبِح الطفل الرضيع الذي وجدتموه هناك قتلته بيدي كما قتلت نجلاء بهذين اليدين.

فضحكت ضحكة شيطانية صغيرة وأردفت: قد مات وهو يصرخ مثل النساء.

ثم نظرت إلى عماد وهو يبكي وكانت الابتسامة تعلو وجهها وقالت: لك أن تتخيل الرعب الذي شهدته في عيون أخيك وهو يموت بين يدي.

فأطلق عماد صرخة مدوية كالرعد أفزعت نيفيتس وقالت في صرامة: كنا نعلم أن أيمن صديقك الوحيد، وعندما قررت أن تدخل البيت وحيدًا كان علينا أن نجبره أن يدخل هو الآخر خلفك. فقد قمت بلفت انتباهه إليك، وهو يجلس على القهوة ودخل خلفك. وباقي القصة بكل تأكيد أنت تعرفها، لك أن تتوقع كمية الفرحة الكبيرة التي أنا بها الآن، واجة ستتحرر اليوم وست العظيم قريبًا سيستيقظ من ثباته.

وضحكت بصوت مرتفع واقتربت إلى وجهه وقالت: إليك أمر أخير: من تنتظره يأتي لينقذكم، فقد مات.

وتابعت ضحكاتها الشيطانية، فصرخ عماد: كاذبة، وكيف عرفتِ أنه مات، وأنتِ معي طوال الوقت؟ سوبيك سيعود وسيهدم المدينة على رؤوسكم قد وعدنا بذلك وأنا أصدقه.

وبينما هي خارجة من السجن متجهة إلى مذبح معبد بافومين قالت له: أنا زوجة إله الشر والظلام ست العظيم الذي سينهض من ثباته قريبًا وسيدمركم. فامتلأ السجن بضحكاتها المرتفعة الشيطانية المفزعة.

❊❊❊❊

وحينما علم أيمن أنه من نسل ملكي عظيم، وأنه المختار الذي سيُقَدَّم ذبيحة لتحرير واجة الشيطانة. فاعترى وجهه الرعب والخوف، حينما أيقن أنه على حافة الموت.

فأمسكه الشياطين ووضعوه على المذبح، فأسرع مرن وأمسك خنجرًا مصنوعًا من الإزاز الأصفر، ومطرزًا بالألماس والذهب الأبيض، وفرد يد أيمن إلى أعلى القناة وصرخ: باسم إله الشر العظيم (ست) وكرر اسمه ثلاث مرات. ثم صرخ صرخته الأخيرة باسم (بافومين) وضرب يد أيمن بحد الخنجر، فانفجرت الدماء من ذراعه ساقطة إلى القناة تشق طريقها إلى أسفل الحائط لكي تبعث الحياة من جديد لواجة.

فكانت عيون الجميع تلمع وتراقب ما يحدث في صمت. فقلع مرن القلادة من فوق صدره وغمسها بدماء أيمن، وأسرع ووضعها على الحائط.

وكانت عيون الجميع ما زالت تراقب ما يحدث في صمت وخوف رهيب. وما إلا لحظات قليلة انفجر الحائط تمامًا ولم يتبقَ فيه حجر على حجر. وتحررت واجة بعد مرور قرون لا حصر لها من الزئبق الأحمر، بمساعدة تلك الشيطان الرهيب مرن، التي أخرجها من سجنها تزامنًا مع إيقاظ (ست). وكانت عيون الجميع محدقة نحو الحائط منتظرين واجة تخرج من الداخل.

وبعد لحظات قليلة من الانتظار المريب سمعوا ضحكات شيطانية مريبة منبعثة من الداخل. ثم خرجت إليهم واجة بوجهها الشيطاني المريب وهي تحمل ابتسامتها الخبيثة على وجهها، ونظر إليها أيمن وفي شدة ألمه صرخ: أيها الشيطانة يا صاحبة الوجه البشع، خرجتِ والموت ينتظرك. وبعدما أنهى أيمن كلامه ضحك بشدة.

فاغتاظ مرن وعزم أن يضع الخنجر على رقبته، إلا أن واجة قد منعته في اللحظات الأخيرة، ومالت بجسدها النحيف الهرتل على أيمن وقالت: أعدك يا حفيد سنفرو الحقير لن تموت إلا وأنت تشاهد رأس جدك الأعظم معلقة على أبواب المدينة.

فتنهد أيمن قليلًا وقال: أنا من يعدك، في نهاية الأمر سأعلق رأسك البشع على أسوار المدينة.

أما واجة فلم تبالِ بما قاله ونظرت إلى ساتان ومرن وقالت: الآن هيا ننطلق ونحطم سنفرو وكل جيوشهم.

وأثناء خروجهم من المذبح قابلتهم نيفتيس بهيئتها البشرية واحتضنت واجة بشدة ثم نظرت إلى أيمن الملقى بدمائه على المذبح وتعالت ضحكاتها. فنظر إليها وعلى ملامحه ظهر القهر والخزلان وانجرفت الدموع على خديه من شدة خيانتها لهم.

❊❊❊❊

الطريق يبدو أنه خطير، هل تعرفه جيدًا؟ قالها سباركس وهو ينظر حوله.

وأجابه رع: قد سُجِنت داخل هذه المدينة الكثير من الأعوام، لا تقلق سنصل قبل فوات الأوان.

فذهبوا إلى سجن المعبد وحطموا الباب فوجدوا عماد في الداخل، فنظر عماد إلى سباركس وقال له: هل جئت إلى هنا لكي تقتلني؟

فظهر رع من خلف سباركس وقال: لا بل جاء ليحررك؟

فصرخ عماد: ومن أنت، الشيطان أم رع؟

فاقترب رع وسباركس إلى عماد وقال رع: أنا رع الذي كان في السجن لا تخف.

فقال له عماد: وكيف هربت من هناك وأنت في قلب جيوش الجان؟

فاقترب إليه الاثنان أكثر وقال رع: عندما أخذكم إبليس من السجن، رمى أيمن شفرة حادة صغيرة استعنت بها لأحرر نفسي من سجن هؤلاء الشياطين.

فقاطعه سباركس وقال: هيا نفك قيوده ليس لدينا وقت للحديث عن أشياء انتهت يجب إنقاذ صديقك وإلا تحررت واجة اللعينة.

وفك الاثنان قيود عماد وقال سباركس له وهو في حيرة كبيرة: أين المرأة التي كانت معك؟

فابتسم عماد في حزن وقال: لم تكن من البشر، بل كانت شيطانة. لست أتوهم ما رأيته بل كان حقيقيًا، إنها خدعتنا حتى أتت بنا إلى هنا.

فنظر إليه رع في حيرة كبيرة وعقله يصرخ إنها نيفيتيس وأردف عماد بما كان يفكر به رع: إنها نيفيتس.

فصاح رع على الفور: هل تتذكر عندما أخبرتك أن من بينكم خائن؟ لم تصدقني، بل على عكس ذلك قد نعتني بالكاذب والخائن.

وبعد أن فك قيوده أسرع رع إلى الخارج وهو يقول لهم: لا بد أنهم الآن حرروا واجة هيا نذهب إلى مذبح بافومين اللعين.

فأسرعوا الثلاثة إلى هناك فوجدوا أيمن ينزف بغزارة من ذراعه والحائط قد سقط وقد تحررت واجة وليس هناك أحد داخل المعبد.

فأسرع سباركس ورع بفك قيود أيمن وضغط سباركس على الجرح لكي يوقف الدماء الساقطة من يده وقال إلى رع: اضغط على الجرح سأخرج قليلًا وسأعود.

وبعد قليل أتى سباركس ببعض الأعشاب ووضعها على الجرح وقطع قطعة قماش من ملابسه وربطها على الجرح.

وقال أيمن وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: نجلاء معهم قد رأيتها تحتضن واجة.

فأجابه عماد: نجلاء قد ماتت في سن السابعة من عمرها، ومن كانت تعيش معنا طوال هذه الأعوام هي نفيتيس زوجة إله الشر ست.

فغضب أيمن وقال: ستموت بأبشع الطرق الدموية التى عرفها التاريخ هي ومن معها.

فذهب الأربعة وكان أيمن يجلس على ظهر سباركس وخرج رع بهم إلى خارج المدينة متجهًا إلى جيوش سنفرو والأقزام لكي ينضم إليهم. ومن جهة أخرى انضمت واجة أيضًا ومن معها إلى جيوش راسبتون وإبليس.

واحتشد الجيشان جيش يقف في أول الصحراء التي تقع أمام المدينة بقيادة أنوبيس وسنفرو؛ والجيش الآخر يحتشد داخل أسوار المدينة بقيادة واجة ومرن.

❋❋❋❋

بينما تستعد الجيوش للقتال، وقف أنوبيس متعجبًا، عندما رأى ذئبًا يحمل شخصًا ومعه اثنين آخرين أحدهم بملابس حربية والآخر يحمل فأسًا في يده يقتربون إليه، فاستل سيفه وانتظر لكي يتعرف على هوية القادمين نحوه.

فأسرع مانيتون ووضع يده على كتف أنوبيس وقال له: ضع سيفك جنبًا فهذا سباركس.

فنظر أنوبيس إليه وهز رأسه وقال له: لا تخف لن أؤذِ أحدًا منهم.

فاقترب إليهم أنوبيس وقال: من أنتم؟

فأجابه رع وهو يشير عليهم تباعًا: هذا أيمن حفيد سنفرو الذي طالما بحث عنه مرن كي يحرر واجة، ولكن الآن قد تحررت من سجنها. وهذا صديقه عماد الذي قاتل معنا بضراوة من أجل قتلهم، وهذا سباركس.

فسمع سنفرو حديث رع وأسرع إليهم واحتضن رع ثم هرع إلى أيمن واحتضنه وقال له: أنت حفيدي قد جئت من زمن بعيد حرصنا ألا تأتوا إلى هنا ولكنهم خدعونا.

فقاطعهم أنوبيس: هذا ليس وقت العواطف، ستندلع الحرب بعد قليل يجب علينا أن نستعد للقتال.

وأسرع الجميع واصطفوا معًا في مقدمة الجيش، فأمسك أنوبيس رأس عشتروث وبكل قوته ألقاها داخل المدينة فوقعت أمام مرن.

وعندما رآها مرن، غضب جدًا وأسرع إلى أعلى الأسوار ونظر إلى أنوبيس نظارات حادة تملئها الغضب. فرفع يده إلى الأعلى ثم أنزلها بسرعة إلى الأسفل وتغير وجهه إلى اللون الأحمر، ثم انفجرت البراكين، من تحت الأرض وخرجت ثعابين عملاقة، ليس لها لحم أو دم بل كانت من الكتل الصخرية البركانية.

انطلقت الثعابين تهاجم جيوش سنفرو والأقزام وفي ذاك الوقت نظر أنوبيس إلى مرن نظرة حادة، ثم ابتسم له وصرخ: هل هذا أقوى ما تملك؟

فضحك أنوبيس وضرب الأرض بكل قوته فخرجت ماء كثيرة قضت على الثعابين. فأخذ الغمام يتحول إلى غبار بركاني والسماء امتلأت بالسواد وأصبح الجو قاتمًا يخنق الأنفاس.

وانفتحت أبواب المدينة ظن الجميع أنها بداية قتال الجيوش ندًا بند، ولكن سرعان ما خرج إليهم ساتان وحيدًا من أبواب المدينة وأُغلِقت الأبواب خلفه، فكان يحمل في يده عصا كبيرة إلى حد ما. فتقدم سباركس ليهاجمه، ولكن أنوبيس كان له رأي آخر وأشار إليه بأنه يتوقف ولا يهجم عليه.

فانطلق ساتان إلى إحدى فتحات البراكين وأسقط بداخلها العصا التي كانت في يده، ومن ثم أسرع إلى المدينة مرة أخرى.

فكانت عيون مرن متجهة إلى أنوبيس والابتسامة تعلو وجهه، فشعر أنوبيس أن هناك شيئًا خطيرًا سيخرج من هذه الفتحات، فنظر أنوبيس إلى مرن وصاح: هيا أسرع وأرسل أقوى ما تملك من قوة فتاكة، لكي يكون مصيرهم أعماق الجحيم.

وأما مرن لم يبالِ بما قاله أنوبيس، فكان يقف بثبات وبابتسامته الماكرة يتابع ما يدور في أرض المعركة، وبعد قليل خرج من الفتحات البركانية وحش ضخم يُدعى كراكدون جسده مكون من الحجارة البركانية ومشتعل نار.

فابتسم أنوبيس وفعل ما فعله المرة السابقة مع الثعابين وأطلق المياه على هذا الوحش ولكنها لم تؤثر به.

فتقدم كراكدون إليهم ولم يتراجع أحد منهم، فوقفوا ثابتين أمام هذا الوحش. فزمجر أنوبيس واستل سيفه وانطلق نحو كراكدون، وبينما أطلق هذا الوحش الكثير من الحمم البركانية وقتل عددًا ليس بقليل من جيوش سنفرو والأقزام. فنزل أنوبيس أسفله وقطع رجليه فسقط على الأرض وفقد قوته وسلاحه. فأسرع أنوبيس فوقه وطعنه في قلبه وقطع

رأسه. ثم نظر إلى مرن بابتسامته المعهودة ورفع سيفه عاليًا وقال بصوت مرتفع: هل حان وقت قتلك يا مرن، أم هناك الكثير من الضعفاء في صفوف جيشك تود أن تراهم تحت أقدامي؟

فهتفت جيوش سنفرو والأقزام بانتصار أنوبيس، وصعدت واجة إلى أعلى الأسوار ثم نظرت إلى أنوبيس ونادت عليه بصوت كالبرق: أنوبيس ألم تتعلم من درس الماضي، أم أنك تود أن تبقى داخل سجون العالم السفلي إلى الأبد؟

فلم يبالِ أنوبيس بما قالته واجة ولم يعطها جوابًا على ما قالته واكتفى بنظراته الحادة لها. فغضبت واجة وقالت: ستخسر الحرب، بعد موت سوبيك ليس هناك من هؤلاء الضعفاء أحد يستطيع مساعدتك. ما زال الوقت كثيرًا أمامك، انضم إلينا وسنحكم العالم بأكمله.

فتقدم أنوبيس خطوات قليلة إلى الأمام وأشار إليها بسيفه وصرخ: كفى عن النباح كالكلب، أتشوق إلى قتلك كما قتلت عشتروث وكربيروس وغيرهم. ومن أجل صديقي أعدك بأنني سأدمر المدينة فوق رؤوسكم، ولن أدع أحدًا منكم على قيد الحياة. ثم ابتسم لها.

وغضب مرن كثيرًا حينما سمع اسم زوجته يتردد على شفتي أنوبيس، فرفع صولجانه وأشار لقادة المردة بالخروج للقتال. وبسرعة كبيرة اصطف جيش سنفرو والأقزام لمقابلة جيوش المردة وكان أنوبيس ومن معه في مقدمة الجيش.

فكان أنوبيس يملك عقيدة راسخة في أذهانه، يجب على قائد الجيش أن يكون في المقدمة في وقت الحرب قبل السلم، وكان دائمًا يرفض أن يكون في مؤخرة الجيش، لكي يحتمي في قلب جيوشه. أما مرن وقادة جيشه استكفوا بمشاهدة المعركة من الأعلى.

فالتحم الجيشان وقاتلت جيوش سنفرو والأقزام بشراسة وضراوة، ورأى مرن أن جيش المردة على وشك الانهيار والهزيمة. فأمر قوات الجان أن يصعدوا إلى أعلى أسوار المدينة ويطلقون السهام عند إشارته. ثم أمر جيش المردة بالانسحاب خطوة بخطوة للخلف وسحب جيوش سنفرو إلى نطاق السهام، ولكن سنفرو شعر أن انسحابهم ما هو إلا فخ، فأمر قواته بالانسحاب ولكنه قد تأخر كثيرًا. قد أطلقت جيوش الجان بأمر من مرن الكثير من السهام على جيوش سنفرو وقتلت العديد منهم وتراجع الباقون إلى الخلف.

فأشار مرن إلى ساتان وإبليس بالخروج بكل جيوش الظلام الرابضة خلف الأسوار. فأسرع مرن إلى استدعاء تنانين كربيروس السوداء، فهجمت على أنوبيس وسنفرو وجيوشهم بضراوة، فاندلعت معركة شرسة. ومع كل ذلك قاتلت جيوش سنفرو ببسالة فائقة.

فكانت التنانين تطلق النيران بكثرة وتحرق كل شيء أمامها، وأثناء ذلك تعافى مانيتون من بعض جروحه وزمجر كالأسود وذهب خلفه سباركس وانقضا على التنانين بقوة.

وكان الاثنان يستهدفان قلوب التنانين، وتابعهما الباقون وانتصروا بشق الأنفاس عليهم، وهتفت جيوش سنفرو والأقزام حتى اهتزت الأرض إثر صوتهم.

فاعتقد الجميع أن الحرب على وشك الانتهاء، ولكن تأتي الحرب بما لا يتوقعه المقاتلون. وبعد لحظات قليلة من هتافاتهم نظر أنوبيس إلى مرن ولم يجده فوق الأسوار، بل وجده يقف مع كل قادته ومن خلفهم الملايين من قواتهم الشيطانية خارج المدينة على مسافة ليس ببعيدة عنهم.

وتقدم مرن ببطء باتجاه سنفرو وفي يده منجل الحصاد ومن فوقه يتقدم الظلام والرعد معه، وكان الرعد يصعق الأرض بضربات عنيفة صنعت بها بعض الحفر.

وتقدم أنوبيس إليه، وكانت عيون مرن ينطلق منها شرارة الغضب لمقتل زوجته. وقف الاثنان بمقابلة بعضهما بشراسة وحقد وبعد لحظات قليلة وقفت واجة بوجهها البشع خلف مرن تنظر إلى أنوبيس باستهجان وقالت له: انضم إلينا فهي فرصتك الوحيدة لكي تحكم معنا الأرض بأكملها.

فضحك أنوبيس وقال: وهذا سيحدث إن بقيتم على قيد الحياة، سأرسلكم إلى سجون العالم السفلي.

فضحكت واجة وازداد غضب مرن وقال: سأعلق رأسك فوق أسوار المدينة لكي تكون عبرة لما تسول له نفسه ويتحدنا ويعتقد أنه يستطيع بضعفه هزيمتنا، وسأستعبد جيوشك.

ثم رجع كل منهم إلى جيوشه وقال سنفرو إلى أنوبيس: ليس لدينا جيوش ضخمة لمحاربة هؤلاء الملاعين ماذا سنفعل؟

فنظر إليه أنوبيس بنظرة حادة وقال: تحلَ بالقليل من الصبر يا سنفرو، فالصبر والإرادة هما مفتاح النصر.

فشق عماد طريقه إليهم وقال: نحن نثق بك يا أنوبيس، ولكنهم كثيرون للغاية. يجب أن نواجههم بخطة محكمة لقتالهم.

وبينما يتحدثون دُقَّت طبول الحرب من جانب جيوش مرن. ثم خرج من المدينة وحش عظيم كالضفدع في ظهره نار مشتعلة ويمسك بيده سيفًا عظيمًا.

اقترب إلى أنوبيس واطاح به بعيدًا بعد أن ضربه بقبضة يده. ثم هجم على الباقين وكان يطيح بالجميع أرضًا بكلتا يده الاثنين.

فوقف أنوبيس أمامه وكان الهدوء يسيطر عليه، وكان يصر على مواصلة القتال ضده، رغم ألمه الشديد، ثم أسرع أنوبيس باتجاهه ولكنه تلاقى ضربة قوية على رأسه من الضفدع وسقط على الأرض. واقترب الضفدع منه ووقف عليه ورفع سيفه عاليًا مزمع أن يقتله، وكانت الابتسامة ظاهرة على وجه مرن. ولكنه تلاقى سهامًا كثيرة في رأسه فوقع في الحال فاغتم وجه مرن.

فنهض أنوبيس يبحث عمن أنقذه من موت محقق، فوجد رع يمسك في يده القوس ويبتسم له، ثم التف رع إلى الأعداء وبدأ بإرسال سهامه بكثرة على رؤوس جيوش مرن.

فزمجر مرن غاضبًا وقرر هذه المرة أن يخوض المعركة بنفسه. فانضم إلى الحرب وقادته خلفه بشكل مباشر واشتعلت أكثر وأكثر، وازداد الضغط على جيوش سنفرو. وعندما كان يموت أحد من جيوش مرن، كان يظهر مكانه اثنان آخران.

فكان على أنوبيس إنهاء الحرب بقتل مرن وكل قادته وازدادت الحرب شراسة من كل الجانبين. فانطلق عماد يقتل كل من يقابله، وشق طريقه في قلب جيوش مرن يبحث عن نيفتيس.

وأنوبيس يتذكر كيف غدر به كربيروس بمساعدة مرن وست لذلك انطلق كالحصان الجامح يبحث عن مرن، وركب سنفرو حصانه ورفع سيفه عاليًا منطلقًا داخل منتصف جيوش مرن يقتل كل شيطان ومارد لمحته عينيه وظل يقاتل حتى ضربته واجة بظهر رمحها وسقط من فوق حصانه وكانت واجة واقفة مبتسمة وقالت له: منذ زمن بعيد لم أراك، أتذكر كيف سجنتني في سجن يصعب الخروج منه.

فأجابها سنفرو وهو يحاول أن يلتقط سيفه: أعترف لكِ بخطئي قد أخطأت في الماضي، عندما تركتك تعيشين، كان يجب عليَّ سماع كلام الملكة وأقتلك وأرميك للكلاب البرية.

ثم أمسك سيفه وأردف: كان يجب أن تموتي من البداية، أتذكر دماء سكان تاسا المزارعين، أتذكر رائحة أقزام الغابة وهم يحترقون أمامي ولا أستطيع مساعدتهم.

وضربها بالسيف ولكنها صدت ضربته وقالت: أنت من أقحم الأقزام في الحرب، لأنك أدخلتهم في تحالف معك ضدنا. ولكن مع ذلك لم أكن أقصدهم هم، بل كان هدفي هو أن يتمردوا عليك. ثم ضربته ضربة شديدة أوقعت سيفه أرضًا.

❋❋❋❋

وانطلق مانيتون وسباركس بسيوفهما يقتلان كل من يقابلهما، وبدأ مانيتون يعاني من جراحه مرة أخرى إلا أنه كان يملك قوة العزيمة والإرادة وبقى يقاتل بشدة.

فأسرع إليهما إبليس ودار القتال بين الثلاثة، وكانت ضربات الاثنين عظيمة عليه وكان ممسكًا بترسه بإحكام حتى صد جميع ضربات مانيتون وسباركس ثم طعن إبليس مانيتون طعنة نافذة بجوار قلبه أدت إلى موته. فوقف سباركس مندهشًا يشاهد موت معلمه، فرفع سيفه عاليًا ووقف يصرخ على معلمه، وكان يقف إبليس أمامه مبتسمًا بهيئته الوحشية.

فرفع سباركس رأسه فرأى الابتسامة تملأ وجهه البشع، فاقترب إليه وهو حامل سيفه في يده ووجهه ممتلئ بالغضب. وكان إبليس معروفًا بقوة ذكائه وقدرته العظيمة على خداع أعدائه.

فبادر بضرب سباركس بجزع شجرة، ولكن سباركس وقف ثابتًا كالصخر لا يتزعزع ولم يتأثر، بل زادت هذه الضربة من عزيمته وإصراره على مواصلة القتال ضد هذا الشيطان وبمنتهى الحزم صرخ سباركس: أنت في منتهى الضعف، ضعيف لدرجة أنك لن تحتمل ضربة واحدة من يدي.

وعندما انتهى سباركس من حديثه، ضربه إبليس بسيفه، ولكن سباركس أمال جسده قليلًا نحو الأرض وقام بضربه وأطاح برجليه بحد السيف. فسقط إبليس على الأرض وفقد سيفه، واقترب سباركس إليه لكي يقتله. وفى الحال تحول إبليس إلى ابن سباركس الذي قتله مرن في الزمن الغابر وقال له بخوف: لا تقتلني يا أبي ماذا فعلت لك لكي تفعل بي ذلك، أنقذني يا أبي فهو يسيطر علي.

فوقف سباركس بدون أن يتكلم من المفاجأة ثم صرخ: فأنا ليس أباك، وأنت ليس ابني. لأنك ميت منذ زمن بعيد.

فقام سباركس بطعنه عدة طعنات في قلبه وقال له بصوت قريب إلى الهمس: هكذا فعلت بمعلمي والآن مت كما مات. ثم عاد إبليس إلى هيئته الطبيعية. وأسرع سباركس إلى معلمه وبكى بشدة عليه.

ومن شدة غضبه اقترب إلى إبليس فوجده ما زال حيًا فوقف سباركس فوقه والدموع تنزرف من عيونه وقال: ألم أخبرك أنك لن تحتمل ضربة واحدة مني.

ثم تحرك سباركس ووقف فوق إبليس من ناحية الرأس وأردف: هذه الضربة من أجل معلمي، وهذه من أجل ابني وزوجتي، وهذه من أجل كل من قتلتهم في حياتك.

ثم أطاح برأسه بحد السيف وبعد ذلك أمسك رأسه ورفعها عاليًا معلنًا عن مقتله. فازداد حماس الآخرين واشتعلت الحرب أكثر وأكثر.

❋❋❋❋

وقف الثلاثي الخطير ساتان وراسبتون ومرن، أمام أنوبيس ينظرون إليه نظرات حادة، أما أنوبيس فوقف ثابتًا بابتسامته الهادئة ناظرًا إليهم.

وهجم الثلاثة بكل قوتهم عليه، وكان أنوبيس يقاتل بشجاعة وحكمة، فلم يكونوا ندًا له. فوقفوا ينظرون إليه في دهشة وتعجب من قوته، فوقف الثلاثة ناظرين إليه بكل شراسة. وقد بادر راسبتون وساتان بالهجوم عليه مرة ثانية. ولم يهجم معهما مرن، بل وقف يشاهد

الأمر لكي ينقض على أنوبيس في اللحظة المناسبة. ولكن أنوبيس استطاع تحجيم قوتها ومرة أخرى فشلا في قتله وضرب الاثنين ضربات ساحقة بدون رحمة.

ثم التف إلى مرن وهجم عليه، وأما مرن ابتسم له واختفى من أمامه. فوقف أنوبيس متأهبًا فظهر مرن من خلفه وضربه على رأسه واختفى مرة أخرى. وبعد عدة محاولات لضرب مرن فشل أنوبيس وهجم عليه ساتان وراسبتون حتى سقط أنوبيس على الأرض.

ووقف الثلاثة مع بعضهم واتحدوا في جسد واحد وخلق هذا الاتحاد وحشًا عظيمًا له قرنين عظيمين كالثور ويملك جسد تنين عظيم له يدين كبيرين كيد الدب، وذات عضلات كبيرة وأقدامه كأقدام الدنياصورات. فبدأ هذا الوحش يصوب ضرباته العنيفة الساحقة. وكان على أنوبيس أن يتراجع إلى الخلف من شدة ضرباته، وبصعوبة بالغة أفلت من ضرباته الساحقة.

وأخرج الوحش من يده أشعة سوداء، وقابلها في نفس اللحظة أنوبيس بأشعة صفراء من يده. وتصادمت كل منهم. وبعد قليل بدأت أشاعة أنوبيس رويدًا رويدًا بالانهيار، وبدأ في السقوط على الأرض ومع سقوطه هبطت معنويات جيشه بمن فيهم حلفائه، ولكنه نهض مرة أخرى وبدأ في مقاومة هذا الوحش لأنه كان يعلم إن سقط، سقط معه كل شيء ولكن مقاومته لم تستمد كثيرًا أمام قوة هذا التحالف الشيطاني.

وبدأت قوته في الانهيار التام وفي لحظة أيقن أن هزيمته قريبة، فأطلق أنوبيس شعاعًا أحمر من عينيه لكي يقاومه، لكن محاولته الأخيرة باءت بالفشل وسقط على ركبتيه. وفي لحظة يأس وإحباط ظهرت أشعة خضراء قادمة من الخلف لمساعدته.

فنهض أنوبيس كمن كان ميتًا وأُعيدت له الحياة، فلم ينظر إلى الخلف لأنه كان يعلم أنه سوبيك تمساح النهر. فصاح أنوبيس ضاحكًا والدموع تملأ وجهه من شدة السعادة التي غمرت عليه: ألم تمت بعد؟

فضحك سوبيك وتقدم ببطء ووقف بجواره وقال: الآلهة لا تموت يا صديقي.

فتقدم الاثنان بقوة جاعلين هذا الوحش يتراجع إلى الخلف منهزمًا، ودبت الحماسة في صفوف جيوش سنفرو وقاتلت بكل قوة وشراسة. وتراجع الوحش أكثر وأكثر من قوة الاثنين الجبارة، حتى انفجر هذا الاتحاد الشيطاني وظهر الثلاثة مرة أخرى بأشكالهم المرعبة.

فازداد غضب مرن وتراجع إلى الخلف تاركًا راسبتون وساتان في مواجهة أنوبيس وسوبيك.

❋❋❋❋

وبعد أن قتل الكثير من جيوش الظلام بدون ملل أو إحباط من كثرتهم. ومن بعيد رأى الشيطانة التي قتلت أخاه وقتلت حبيبته نجلاء، فصرخ باسمها: (نيفتيس).

فزمجر كالأسود وانطلق نحوها يقتل من في طريقه حتى وقف بالقرب منها وقال: أستطيع قتلك من الخلف، ولكنني أتشوق نارًا لكي أراكِ تتألمي كما تألم أخي.

فهجم عليها ولكنها أمالت جسدها إلى الأسفل وأفلتت من ضربته. ثم وقفت أمامه بابتسامتها التي طالما أحبها من أجلها وقالت: هل هذه كل قوتك؟ ولكنني رأيت مستقبلي ولن أموت اليوم.

فهجمت عليه ومن شدة ضربتها وقع عماد على الأرض وسقط السيف من يده. فوقفت نيفيتس تتأمل وجهه وقالت: ألم أخبرك أنني لن أموت اليوم؟

فرفعت سيفها عاليًا لكي تقتله، ولكن طعنها أحدهم من الخلف بسيف حاد، فترنحت يمينًا ويسارًا من شدة الألم.

فنهض عماد فوجد صديقه أيمن يقف متألمًا من جراحه ويمسك سيفًا ممتلئًا بدماء نيفيتس. فأخذ السيف ووقف فوقها وقال: أنا أيضًا أرى المستقبل، ستموتي اليوم بيدي.

وفجأة تحولت إلى هيئة نجلاء وقالت: عماد أنا حبيبتك انقذني من هذه الشيطانة.

فصرخ عماد: الموت لكي أيتها الشيطانة اللعينة. فضربها عدة طعنات نافذة فوقعت على الأرض غارقة في دمائها.

وبعد أن انتهى منها كاد أن يقع أيمن مغشيًا عليه، وأسرع إليه عماد وأسنده. ثم بدأت أنفاس أيمن تتزايد بقوة وقال بصعوبة بالغة: سأموت الآن، ولكنني في غاية السعادة والفرح، لأننا قتلنا من خدعتنا كل هذا الزمن ولم تستكفِ بذلك بل قتلت وائل ونجلاء، والآن انهض وحارب معهم.

وبعدما أنهى أيمن حديثه فارق الحياة متأثرًا بجراحه بين أيادي صديقه. وحزن عماد كثيرًا على فراق صديق طفولته. وفي وسط حزنه العميق امتدت يد وأمسكت كتفيه بشدة ورفعته إلى الأعلى، ثم ألقته بكل قوة وعنف بعيدًا.

وشعر مرن بالهزيمة تُحاق به وتراجع إلى الخلف وصعد إلى أعلى السور ورفع منجله إلى الأعلى فاصطدم به برق من السماء وتحول إلى إشعاع قوي. ثم أرسله مرن إلى داخل أعماق صحراء الظلام، ثم خرجت جيوش الجعران خارج المدينة لمحاربة جيوش سنفرو. ومع خروجها استيقظ أشد آلهة الشر قوة وشراسة.

وقف سباركس ورع يحملان أسلحتهما، ثابتين أمام هجوم جيوش الجعران، وعندما اقتربت إليهما، بادر الاثنان بالهجوم عليها، وكان من خلفهم جيوش سنفرو والأقزام.

❊❊❊❊

أصبح بلا سلاح ولكنه كان دائمًا يتمسك بسلاح العزيمة والإرادة، وقاتل واجة بدون خوف أو تردد. وصد سنفرو ضربتها الأولى بترسه النحاسي، إلى أنه تراجع إلى الخلف قليلًا بقدمه، ثم ضربته الضربة الثانية، ولكنه صدها أيضًا. فضربته بسيفها في أسفل قدمه. لكنه صعد إلى الأعلى بجسده مفتديًا ضربتها.

ثم ضربها في رأسها بيده وانتهز فرصة أنها تتألم والتقت السيف بيده وضرب كل منهم ضربته بقوة والتحم السيفان. إلا أن كانت ضربات سنفرو أقوى منها، وضربها في بطنها بقدمه اليسرى، فابتعدت قليلًا متألمة، إلا أنه لم يمهلها فرصة أن تلتقط أنفاسها فهجم عليها وضربها عدة ضربات في جميع أنحاء جسدها بحد سيفه.

إلا أنها لم تمت من ضرباته، واستطاعت أن تهرب منه. وأسرع وراءها لكي يقتلها ولكنها اختفت، وكان سنفرو يمتلك ذكاءً خارقًا بجانب قوته الفتاكة.

فظهرت واجة خلفه وكادت أن تضربه بسيفها، إلا أنه شعر بها وابتعد قليلًا إلى الخلف. ثم أطاح بذراعها الأيسر بحد السيف. فانفجرت الدماء منها وفرت سريعًا من أرض المعركة.

فوقف سنفرو والخوف يملأ عينيه، فقد شاهد عماد ملقى على الأرض ويقف أمامه إله الشر ست فأسرع إلى مساعدته. وعندما نهض عماد ونظر إليه، وجد وحشًا منبعثًا من الجحيم ولم يكن يعلم أنه إله الشر (ست) وكان يمسك في يده رمحًا حادًا وكان أسود اللون وله جناحين مهترئين.

وكان يقف في مقابلة عماد مباشرة. وتقدم ست نحوه ووجهه ممتلئ بالغضب المطلق لأنه قتل زوجته نيفتيس. ومن شدة الآلام عماد لم يستطع أن يقف على رجليه بشكل جيد. فضربه ست بكل قوته بواسطة رمحه الحاد إلا أن تدخل سنفرو بترسه القوي وصد الضربة وأنقذ عماد، فنهض عماد ووقف الاثنان بمقابلة ست.

وبجوارهم يتحارب أنوبيس وسوبيك ضد ساتان وراسبتون. فضحك سوبيك وقال لهم:

منذ زمن بعيد طالما كنت أملك أمنية واحدة فقط: وهي وضعكم تحت أقدامي لأنكم ليستم أهلًا بقتالي.

فبادله ساتان الابتسامة وقال: وأنا كم تمنيت أن أقطع جسدك قطعة قطعة وألقيها لوحوش العالم السفلي.

وانقض أنوبيس وسوبيك عليهم ونشب قتال عنيف بينهم وحاول كل منهم قتل الآخر ولكنهم فشلوا. وانتبه أنوبيس وسوبيك إلى وجود ست إله الشر يقاتل عماد وسنفرو.

ونظر الاثنان إلى بعضهم وهز سوبيك رأسه، فوقف أنوبيس خلفه ثم صرخ أنوبيس: الآن اركع.

فركع سوبيك على الأرض بقدميه وبسرعة كبيرة انطلق أنوبيس فوقه وطار عاليًا ضاربًا ساتان وراسبتون بحد السيف حتى سقط الاثنان غارقين في دمائهم. ونهض سوبيك وقال: فقد عاد إله الشر بكامل قوته، هيا لمحاربته.

وكان القتال شديدًا جدًا على رع وسباركس وجيوش سنفرو والأقزام ضد جيوش مرن وجيوش الجعران الخارجة من صحراء الظلام.

وبينما شهد مرن تحالف أنوبيس وسوبيك مع سنفرو وعماد أسرع إلى مساندة ست، لأنه كان ست هو أمله الوحيد في البقاء حيًا.

فهجم الأربعة على ست ومرن دفعة واحدة، ولكن ست كان من أشرس من قاتل الأربعة في هذه الحرب. وصد ضربتهم وهو يبتسم لهم، وما كان عليه أن يبذل مجهودًا كبيرًا لكي يطيح بهم بيده الاثنين.

فوقف ست ومرن يضحكان على ضعف الأربعة، فنهض سنفرو وأنوبيس وسوبيك ولكن عماد بقي على الأرض قليلًا حتى ينشغل الجميع بالقتال.

وبعد قليل نهض عماد وصعد على مكان مرتفع، وأثناء انشغالهم بالقتال سقط عليهم وبحد السيف قسم مرن نصفين، فازدادت الحماسة داخل الأربعة.

وأما ست فغضب لمقتل مرن، لأنه أصبح وحيدًا بدون حليفه، ولكنه يجب أن يقاتل بقوة لأنه إن سقط، سقطت كل ممالك الظلام معه. وستنهار كل جيوش الشر في لمح البصر.

فاصطف الأربعة حوله بحذر وكانت تحركاتهم محسوبة عليهم، لأنهم في مواجهة أقوى إله في مملكة الظلام. فصنعوا دائرة حوله لكي يسطرون عليه.

فضحك ست وقال لهم: هل تعتقدون أن بكثرتكم ستقضون على إله الشر؟

فلم يبالِ أحد منهم بكلامه وبدأوا في تضيق الدائرة عليه، إلا أنه أطاح بهم واحدًا تلو الآخر. وكانت ضرباته عظيمة لم يتحملها أحد منهم حتى أنوبيس وسوبيك سقطا جراء ضرباته المتتالية الساحقة. فوقف في منتصفهم وصرخ: أنا ست العظيم إله الشر لم ولن يستطيع أحد على مر العصور هزميتي.

وأمسك ست رأس سوبيك وجره بعيدًا وظل يضربه بسيفه عدة طعنات انتقامًا منه لأنه أخرج أنوبيس من سجنه حتى فارق الحياة.

نظر الباقون له نظرة حادة وقال لهم: تعتقدون أن الآلهة لا تموت؟ ولكنني أود أن أخبركم بشيء جديد عليكم وليس على أنوبيس. الآلهة لا تموت حقًا إلا أن تلقت ضربة واحدة من هذا السيف العظيم (سيف ست العظيم).

ثم نظر إلى سوبيك وأردف: وداعًا يا سوبيك، قليلًا من الوقت وسأرسل الباقين إليك في أعماق الجحيم. وضحك بصوت حاد أغضب الباقين جدًا.

وهجم الثلاثة عليه ولكنهم لم يستطعوا محاربته، وكانت ضربات ست عظيمة وحاسمة واستطاع جرح سنفرو جرحًا عميقًا في رجليه، وتراجع سنفرو إلى الخلف تاركًا القتال إلى أنوبيس وعماد.

وبقى عماد وأنوبيس في مواجهة أخطر آلهة الشر، فهجم الاثنان عليه. وأما هو، فكان يقاتل كمن يلعب لعبة سهلة. وكان يضحك ضحكات شيطانية جعلت الاثنين يقاتلان بكل قوتهما، ولكنهما فشلا في لحاق أي ضرر به.

وبعد وقت كثير من القتال بينهم فشلت ضربات أنوبيس في إصابته، وفي ضربة أخيرة ممتلئة باليأس وإلإحباط ضربه عماد بسيفه وأصابت الضربة وجهه. وعندما شاهد الدماء نازلة بغزارة، غضب جدًا وأطلق العديد من الضربات القاتلة باتجاه الاثنين ولكنهما واجها ضرباته بكل قوة وحسم.

ورغم شدة ألمه ورجليه التي تنزف بغزارة، كان يفكر سنفرو كيف يساعدهما، وانتهز انشغالهم بالقتال العنيف.

بدأ يزحف خلف الأشجار المجاورة لسور المدينة دون أن يلاحظه أحدهم، ووقف بجوار شجرة عملاقة وحدد مكانهم وبدأ بقطع الشجرة باتجاه ست.

وأثناء قتالهم سقطت الشجرة على ست وانتهز أنوبيس سقوطه على الأرض، فقام بإبعاد سيفه عن يده، فالتقت عماد سيف ست واقترب إليه ووقف على رأسه ورفع السيف عاليًا وقال له: الآن قد انتهى الشر من المدينة إلى الأبد وستذهب إلى زوجتك إلى أعماق الجحيم.

فضحك ست وقال: ربما سأموت الآن، ولكن الشر لا يموت أبدًا.

فقطع عماد رأسه، وعندما علم الجميع بموت ست فرت جيوش مرن وجيوش الجعران مبتعدة عن المدينة وقد لحقتها جيوش سنفرو والأقزام حتى مشارف صحراء النيران، ووقفت جيوش سنفرو تهتف باسم أنوبيس.

****

أسرع عماد وأنوبيس إلى سنفرو وحملوه وأسرع إليه الأطباء، ثم أسرع أنوبيس إلى سوبيك واحضتنه وبكى عليه. ورغم شدة الألم، سنفرو صاح إلى أنوبيس: سوبيك لن يموت بعد، اذهب والقه في مياه النهر العظيم

وبدون تفكير أسرع أنوبيس بحمل سوبيك وألقاه في مياه النهر، ووقف ينتظر ماذا سيحدث لصديقه. مر القليل من الوقت على انتظار أنوبيس، ولكن بالحقيقة لم يكن وقتًا قصيرًا بالنسبة إليه بل كانت ملايين السنين.

الوقت يمر وليس هناك جديد، وقد تمالك الإحباط واليأس كل كيان أنوبيس واعتقد أنه قد فقد صديقه إلى الأبد.

وقف بجواره رع وسباركس وعماد يبكون، وأثناء بكائهم لاحظ رع حركة غريبة وغير معتادة تجري في المياه. فوقف كالصخر صامت عاجز عن الحديث. وبعد قليل خرج سوبيك من المياه مندفعًا بكل قوته إلى الأعلى.

فصاح الجميع فارحين بعودة سوبيك إلى الحياة مرة أخرى، فاقترب عماد إلى أنوبيس وقال له: قد استراحت الأرض من من هذا الشر العظيم.

فضحك أنوبيس ونظر إليه وهو مشفق عليه وقال له: الشر لا يموت أبدًا يا صديقي، أينما ذهبت سيلاحقك الشر، وفي أي مكان في هذا العالم ستجد الخير والشر مجتمعين معًا.
ولكن لا تحارب ضعيفًا، بل قاوم الشر حتى لو دفعت حياتك ثمنًا لذلك.

فهز عماد رأسه ونظر إلى بوابة المدينة الضخمة وقال: أريد أن أعود إلى وطني.

فضحك أنوبيس وفتح له بوابة العبور إلى وطنه، وأخيرًا عاد عماد إلى وطنه.

❊❊❊❊

تمت

٤ يناير ٢٠٢٠

دار نبوغ للنشر والتوزيع